لأجلِها...

كنانة حمامية

الإهداء

إلى صديقتي حلا التي لم تتوانى عن القراءة لي
وإعطائي النصائح، عاجزة عن إيفائها حقها. كما إلى
كل من وثق بي وبقدراتي. وإليكم أنتم يا من تؤمنون بالحب
وتدركون معناه الحق

أجواء الجامعة من محاضرات، زملاء، محادثات، جميعها أجواء لا تنسى ولا سيما إن خالط هذه المرحلة حالة من الحب التي تجمع بين جنون المراهقة وعنفوا نيتها وبداية الرشد.

في مقصف كلية الهندسة المعمارية وفي إحدى الطاولات الكائنة هناك تحلقت مجموعة من الأصدقاء ثلاثة شبان وفتاتان.

جود وجنى عصفورا العشق اللذان يأبيا أن يعترف إحداهما للآخر ولكن ما إن تراهما حتى ترى لمعة الحب في أعينهما جود من طلبة السنة الرابعة ذو بشرة بيضاء وشعر أسود اللون وعينان سوداويتان تصغره جنى بعامين سمراء ذات عيون خضراء. أما ليلاس فهي من طلبة السنة الثانية جميلة بالفعل تنطبق عليها كل مقاييس الجمال بيضاء ذات عينان زرقاوات كل من في الجامعة يرغب بوصالها سوى الأحمق الذي تحبه هو كذلك القلب يورطنا بحب من لا يحبنا. تبقى ورد ومهند هما مختلفان كثيرا ورد هو ذلك الشاب الذي لا يهمه في هذه الحياة سوى الدراسة متجاهلا أي موضوع آخر بل وحارما نفسه من الاستمتاع بحياته الجامعية من طلاب السنة الرابعة أقل ما يمكن القول عنه أنه جميل يمتلك بشرة سمراء وعيون بنية وذقن لها ترتيب خاص تجعل الفتيات ينجذبن له على الرغم من عدم ترحيبه بهن. أما مهند فمن المفترض أن يكون في السنة الرابعة إلا أن اهتماماته الأخرى المتعلقة بالفتيات (فهو زير نساء)

جعلت الدراسة آخر ما يشغل تفكيره، كيف لا يكون متباهي وهو صاحب الشعر البني الذي يخالطه تدرج من اللون الأشقر إضافة الى عيون زرقاء وطول شاهق وهذه الميزات بلا شك تحلم بها أي فتاة وهو يعمل على استغلال جماله ليتلاعب بمشاعر الفتيات.

والآن يمكن لأي شخص إدراك مدى اختلافهم....

ليلاس: مهند كف عن النظر إلى الفتيات احترم وجودنا قليلا

مهند: وما شأنك. لعلك تغارين؟

ليلاس: على من سأغار عليك يا زير النساء

جود: كفّا عن الشجار أريد أن نتكلم بأمر هام قبل مجيء جنى

مهند وليلاس وورد: ما الأمر؟!

جود: عيد ميلاد جنى قد اقترب وأنا أفكر بأن نقيم لها احتفالا

مهند وليلاس وورد ينظرون إلى أعين بعضهم بنوع من التلميح والذي يقصد به نرى جليا كم أنك تحبها

مهند: ولما لا نقيم لها احتفالا ولكن ما الأفكار التي تدور في رأسك

ليلاس: دعني أنا أخبركم تحجز لها مقهى وتضع لها ورودا في كل أرجائه ومن ثم تبدأ الموسيقا وتظهر أنت فتتقدم إليك وتنسانا وتكملان الاحتفال معا.

علا صوت ضحك مهند فاهما ما ترمي إليه. قائلا لها: ليلاس يقول عيد ميلاد وليس عيد الحب انتظري يوم 2/14 تأكدي أن طرحك لهذه الفكرة سيذهله...

احمّرت وجنتا جود، وليتدارك الأمر حاول أن يغير الموضوع قائلا لهما: ما رأيكما أن تكفّا عن مزاحكما الثقيل وأنتما الاثنان تعلمان أننا مجرد أصدقاء...

ليلاس ومهند معا: بالطبع أصدقاء وهما يخبئان ضحكهم لئلا يحرج جود أكثر

ورد: برأي اجلب لها هدية وبجانبها قطعة من قالب حلوى وانتهى الأمر

مهند: أوه لا أصدق ما هذه الفكرة يا ورد أذهلتني فكرتك أرجو منك ألا تكرر التفكير بشيء إلا الدراسة

جود: آمل أن تكونوا انتهيتم لأخبركم ما أفكر به

ليلاس: هيا أخبرنا يا روميو المتخفي

جود: تعلمون كم أن جنى فتاة رقيقة وعذبة قاطعه مهند قائلا: دعنا من وصفك لها لأنك لن تنتهي إذا بقيت تصفها

أردف جود كلامه وهو ممتعض "حسنا سأخبركم. أفكر في أن يكون الاحتفال هنا في الجامعة "

اتّسعت عينا ورد، قائلا لجود: ما هذا الجنون

مهند: نعم ولم لا ومنه أستطيع التعرف على فتيات جديدات

ليلاس: لا يهمك يا مهند سوى ذلك على العموم فكرة مذهلة ولكن ما هو المكان الذي ستختاره بالضبط وكيف سيمكنك صنع احتفال دون أن يطردك عميد الكلية

جود: لدي أصدقاء من الهيئة سيساعدونني وسيكون حفل صغير وسريع وأريد مساعدتكم بالتأكيد

أتت جنى فتلاشى الحديث...

جنى: صباح الخير على من كنتم تنمون أم أنكم كنتم تنمون علي؟

"صباح الورد. لا أيعقل" قال ذلك جود والابتسامة تكاد تصل الى أذنيه

ليلاس: (بنوع من الاحتجاج) صباح الورد لها أما أنا لا تكلف نفسك أن تقول لي صباح النور

احمرت وجنتا جنى مؤكدة على خجلها الشديد

مهند: ما بك اليوم ليلاس برأي عليك على الفور أن تجدي شخص تحبينه ويحبك

وضعت ليلاس يديها على خديها، ومن ثم قالت له: الشخص اذي أحبه موجود وها هو أمامكم ولكن أن يحبني أظن ذلك غير ممكن

جنى: عدنا الى ذات الموضوع قلت لك دعك منه

مهند: ما رأيك أن أذهب اليه الآن وأشير عليك وأخبره أن هذه الفتاة معجبة بك أرجوك أعجب بها وخلصنا منها ومن اضطرابها العاطفي؟؟

ليلاس: تكون أرحتني من عناء الاعتراف له

ذهب مهند بعد سماعه كلماتها تلك الى ذلك الشاب المعجبة به وليلاس تحاول إيقافه وقد اعتلت الحمرة وجنتيها...

عاد مهند بوجه حزين "للأسف لم يوافق لم تعجبيه"

جود: كف عن مزاحك الثقيل، تأكدي عزيزتي ليلاس أنه لم يخبره وهل هناك رجل أحمق تعجب به فتاة مثلك ويرفضها

مهند: ومن أخبرك بذلك أنا ان أعجبت بي سأرفضها

ليلاس: اطمئن لا أعجب بزير نساء، ولكن حقا ما الحديث الذي دار بينكما؟

مهند: لا شيء سوى أني تعرفت عليه وسألته عن اسمه

ابتسمت ليلاس ابتسامة خبيثة "مهند الجميل ألست صديقتك التي تحبها"؟

مهند: عفوا أخطأت العنوان ليس لدي سوى صديقة واحدة أحبها وهي جنى، ومن ثم وجه نظره للأعلى ستذكر موقفا، فسرعان ما تدارك كلامه السابق قائلا لها: تذكرين صديقتك التي كنت تسيرين بصحبتها؟

ليلاس: حسنا، فهمت ما ترمي اليه سأحاول اقناعها بك المهم الآن ما اسمه؟

مهند: أنت فتاة لبيبة، حسنا بما أننا اتفقنا اسمه كرم

ليلاس: يا له من اسم جميل...

ورد: أستبقون هكذا هيا كل منكم الى محاضرته

مهند: رافقتكم السلامة، أنا قد واعدت فتاة وذاهب اليها

ليلاس رمقته بنظرة حادة فضحك مستهزئا من نظرتها

وقبل أن يذهب جود اقترب من جنى، وأخبرها بصوت خافت " إلى اللقاء يا جنتي "

جود قد اعتاد كلما قابل جنى أو تكلما سويا أن يقول لها جنتي...

سمع ورد ما قاله جود لجنى فقال له: لما لم تجعلا الأمر معلن الى الآن ماذا تنتظران؟

جود: لا أعلم من وجهة نظري أخاف خسارتها أخاف أن أخيب ظنها أخاف أن أعدها بشيء ومن ثم لا أستطيع ايفاء وعدي فمستقبلي مجهول في الحقيقة

ورد: برأي أن تعيش هذه اللحظة ودع المستقبل للمستقبل

جود: أتعلم أخاف ألا أستطيع اكمال حياتي بصحبتها بعد أن أكون وعدتها بذلك أنا لا أفرط أن يلسعها النسيم فكيف لي بكسرها على الرغم من أن تفكيري فقط بهذا الموضوع يصيبني بالهلع، لا أتصور حياتي من دونها...

ورد: ألا تلاحظ أنك جبان

جود: أفضل أن أكون جبانا على أن أعدها بشيء ولا أستطيع تنفيذه...

ورد: مجنون أنت...

"هيا أخبريني يا جنى ما الذي أخبرك به بصوت خافت" قال ذلك ليلاس بحماس كبير

"وما شأنك" بنوع من المرح والمزاح

-: أتعلمين أنتما أجمل ثنائي قابلتهم في حياتي ولكن لا أفهم سبب عدم كشفكم لهذا الحب

-: في الحقيقة أنا في حيرة من أمري في كثير من الأحيان أشعر بحبه لي ولكن أتذكر بعد حين عدم مصارحته لي فأبعد فكرة أنه يحبني

-: هل تشككين ان كان يحبك أم لا هل أنت في عقلك يا فتاة!

-: إذا بماذا تفسرين عدم مصارحته لي للآن...

-: لا أعلم بادري أنت...

-: أجننت ومنذ متى الفتاة تصارح الشاب

-: منذ الآن برأي الحب يحتاج الى الجرأة

-: لن أستطيع فعل هذا، أتعلمين أنا مشوشة لا أعلم ان كنت أحبه أم لا

-: أصبتني بالضجر، هيا ندخل الى القاعة

****

مهند بعد مقابلته تلك الفتاة أخذ يتنزه في حديقة الجامعة، فوجد فتاة تجلس على المقعد بصحبتها كتاب تقرأ به وكعادته لا يستطيع المرور بفتاة دون أن يرمي لها كلاما أو يزعجها بشكل من الأشكال فذهب اليها...

"ماذا تقرئين" قال ذلك مهند وهو يخرج الدخان من فمه

الفتاة: وما شأنك؟؟؟

استفزته طريقتها الغير مرحبة والتي لم يعتد عليها، فأخذ الكتاب من يدها بخفة وقرأ اسمه ((أحببتك أكثر مما ينبغي)) وبينما هو قد قرأ اسمه ثارت هي وبادرت بأخذ الكتاب منه الا أنه قد استفزها ورفعه عاليا ولقصر قامتها وطوله الشاهق لم تستطع الوصول الى الكتاب فأمسكت يده الأخرى وغرست أسنانها على جلده فتعالى صراخ مهند وأنزل يده الأخرى ليبعد أسنانها فانتشلت الكتاب من يده قائلة له قبل رحيلها: لا تحاول أن تستفزني مرة أخرى وذهبت وبقي هو مذهولا مما حدث كيف أقدمت على عضه وهو محبوب الفتيات فكيف تفعل هذا شعر أن غروره قد كسر وأن كبرياءه قد تحطم ، فعزم على الانتقام منها بأي طريقة كانت ، وكبداية عمل على مراقبتها واستطاع

معرفة اسمها وأنها من طلبة السنة الثانية ولديها صديق واحد هذا كل ما استطاع جمعه من معلومات تخصها....

****

عند الساعة التاسعة مساء، أخرج هاتف ليلاس صوتا دالا على وجود رسالة ذهبت لرؤية مضمون الرسالة وإذ تكون الرسالة من مجموعة على برنامج WhatsApp قد أنشأها جود وأضاف اليها مهند وورد ولم يضف جنى لأنه يعمل على التخطيط للحفلة التي تخصها، وبعد حوار دام قرابة الساعة اتفقوا جميعا، حيث ستستدرج ليلاس جنى للذهاب الى القاعة مبررة ذلك بوجود محاضرة إضافية، وسيقوم كل من جود والبقية بالتزيين. وعند انتهائهم توجهت ليلاس للحديث مع مهند بشكل خاص

في المحادثة الخاصة

مهند: ماذا تريدين أيتها الفضولية

ليلاس: ما أمرك تحوم كثيرا حول جوا

_: جوا! ومن هذه!

_: مهند أنا ليلاس لا يخفى عني شيء

_: حسنا لن أراوغ. ماذا تريدين أن تعلمي؟؟

_: كل شيء. كيف تعرفت عليها وكيف تغريك فتاة مثلها

_: على ما يبدو أنك خلطي الأمور كثيرا. يا فتاة منذ قليل تقولين إنك تعرفينني وتعلمين بالطبع أن هذه الفتاة لا تغريني وإنما فقط.....

_: فقط ماذا؟؟؟

_: حسنا سأخبرك بالأمر

وسرد القصة بأكملها، وعندما أنهى سردها، بعثت له بوجوه ضاحكة ساخرة من الموقف الذي وضع به

ليلاس: لا أصدق ماحل بك. أنت أيها المغرور....

مهند: لم أخبرك القصة لتسخري مني

_: أعتذر وأعدك أن يبقى الأمر بيننا. ولكن دعك من الانتقام جوا فتاة بسيطة مسالمة لا تؤذي أحدا

_: تحلمين بالتأكيد لن أدعها وشأنها والأيام كفيلة بأن تريك ما سأفعله

_: ينتابني شعور بأنك ستقع بغرامها

_: أظن أن الدراما التركية أصبحت تستولي على تفكيرك

_: أنا لا أمازحك وسترى كيف ستقع بغرامها

_: بأحلامك... وماذا عنك وعن السيد كرم

_: لا أعلم أفكر في أن أفصح له عن إعجابي به ما رأيك

_: تريدين نصيحتي؟؟

_: نعم بالطبع

_: نحن معشر الرجال ما ان تخبرنا فتاة بحبها حتى نثق بأنفسنا أكثر ونتعالى عليها ونجرحها لثقتنا بأن جميع أفعالنا مغفورة مستغلين حب الفتاة لنا .... المختصر عزيزتي أخاف عليك من كرم وردّة فعله، أخاف أن يستغل حبك له لأغراض دنيئة اعذريني على صراحتي ولكنك بمثابة أختي التي لا أفرط بها ولا أسمح لأحد بإيذائها... والقرار يعود لك بالتأكيد وأنا بجانبك متى احتجتني...

لامست كلماته شغاف قلبها شعرت بالحماية والحب اللذان لم تحظى بهما في السابق على الرغم من وجود أشقائها، الا أن المجتمع الذي تعيش به يحظر فتح مثل هذه المواضيع أمام الأشقاء....

ليلاس: في الحقيقة كلامك أخافني قليلا وشجعني من جهة أخرى لوقوفك بجانبي ....

_: وكم لولو فضولية لدي

_: هناك الكثيرات (مضيفة وجوها ضاحكة)

_: أيتها المجنونة أولئك مجرد تسلية أما أنت وباقي أصدقائنا جزء لا يتجزأ من حياتي...

_: شكرا على الراحة والطمأنينة اللتان منحتني إياهما....

_: لا تشكريني على شيء فستردين لي معروفي وأردف رسالته بوجوه ضاحكة

_: وصلت الفكرة التي ترمي اليها، على جميع الأحول ما تطلبه سينفذ...

_: أصبحت فتاة مطيعة في الحقيقة أصابتني الدهشة

_: لا تصدق مجرد مجاملة...

_: هيا الى النوم

في اليوم التالي استعد الجميع من أجل عيد ميلاد جنى. التقت جنى بجود...

"صباح الخير جنتي "

جنى: صباح النور (بنوع من الحزن واليأس)

أربك جود حزن جنى وأراد أن يستفسر عن الأمر ولكنه قد كان على عجلة ...

وعند انتهاء محاضرة جنى وليلاس بعث جود رسالة ل ليلاس يحثها بها للقدوم للقاعة الحمراء أطفئ الأنوار ووقف خلف الباب وبيده مدفع الزينة ليقذفه فور دخول جنى....

دخلت جنى وليلاس القاعة الحمراء

"لما جلبتني الى هنا لا يوجد أحد" قالت ذلك جنى بخوف، لكن

عندها أشعلت الأنوار وقذف مدفع الزينة وصرخ الجميع قائلين مفاجأة ....

ابتسمت بسمة قريبة للضحك وجود يتأملها ويتأمل جمال بسمتها وعيونها تصغر شيئا فشيئا، فقد كانت صاحبة خدود مليئة واعتلت وجنتيها الحمرة لشدة خجلها...

جنى: إذا خدعتني....

ليلاس: لست أنا بل جود أجبرني....

_: جود!!!

_: نعم أم أنك تصدقين أني سأصنع لك كل هذا...

جنى توجهت الى جود وبادرت بشكره

جود: كل عام وأنت بخير يا جنتي...

جنى: وأنت بخير يا ح.....أقصد يا جود

ظن جود نفسه قد فهم الكلمة التي كانت لتخطأ وتقولها وذلك لشدة حبه لها فضحك وعمل على إخفاء ضحكته لئلا تحرج في حين أن جنى قد احمرت وجنتاها حرجة من الموقف الذي وضعت نفسها به.....

جود: أريد أخذك لمكان

جنى: الى أين

_: الى مكان...

_: حسنا سأذهب لرفاقنا قليلا ومن ثم نذهب معا

_: هيا لا تتأخري

ذهبت جنى واستلمت الهدايا من الرفاق وبعد انتهائها أتى اليها جود .....

جود: ترى هل انتهيت؟؟

جنى: نعم انتهيت هيا لنذهب

عند مدخل دار الأيتام

"ما الذي جلبنا الى هنا " قالت ذلك والدهشة تسيطر عليها

جود: هيا ادخلي لتعلمي

وعنما دخلت استقبلتها صديقتها من الدار يمنى، فجنى تتردد كثيرا الى هذه الدار، حيث اصطحبتها يمنى الى الغرفة التي تتواجد فيها طفلتها المحببة نعم طفلتها فقد كانت لا تناديها سوى بطفلتي.

ومن وجهة نظري لا يشترط أن يكون الطفل مولود بطنها ليكون طفلها، فعاطفة الأمومة تغلب على عواطف أي أنثى وبإمكان أي فتاة أن تكون أما بالرغم من عدم انجابها...

وجدت في تلك الغرفة هدايا متعددة وأجواء مليئة بالمرح وطفلتها تمرح وتلعب ما ان رأتها حتى احتضنتها ومن ثم أتت لها بهدية قائلة: كل عام وأمي الجميلة بخير وقد أردفت كلامها كما ويبقى العم جود موجودا لأرى وجهك يبتسم هكذا أحبك كثيرا..

لم تعلم جنى نوع المشاعر التي أحست بها هل هي حب أم أمومة أم وجع...أدركت أن من جعلها تشعر بهذه المشاعر

شخص واحد وهو جود عندها لم تتمالك نفسها وتقدمت اليه واحتضنته متجاوزة كل الأعراف، القيم، وجميع الأفكار التي تجول في رأسها وأيضا قيودها التي تمنعها من التقدم بالعلاقة مع جود وكل شيء...

****

بدأ مهند بخطة الانتقام خاصته وأصبح يتقرب من صديق جوا أحمد، حتى أنه تمكن من معرفة كل شيء يخص جوا بما في ذلك صفحتها على برنامج Facebook والتي حصل عليها عن طريق صفحة أحمد. كما أنه أصبح ملما بأفكارها، آرائها، واهتماماتها.

وفي إحدى جلسات أحمد ومهند ذهب أحمد مسرعا تاركا هاتفه على الطاولة....

مهند: أوه لا أصدق هذه هي الفرصة التي أنتظرها لعلي أجد مستمسك أستطيع من خلاله استغلال جوا....

أمسك الهاتف الذي يخص أحمد وبطبيعة الحال قد كان مقفلا فذهب الى خبير هواتف وأزال القفل له. فأسرع بالبحث عن اسم جوا في قائمة الأسماء التابعة لبرنامج المحادثة WhatsApp ولكن لم يكن هناك وجود لمثل هذا الاسم مما أثار تعجبه لكنه لم يتوقف عن البحث، تحرك فضوله عندما رأى تسمية إحدى المحادثات my love أي حبي لم يخبره أحمد في السابق أنه على علاقة حب بصحبة إحدى الفتيات عندها دخل الى تلك المحادثة واستطاع من خلال قراءته لها أن يدرك

أن هناك علاقة الحب تربط بين أحمد وجوا عندها صدم مولكن سرعان ما عاد الى وعيه وأكمل قراءة المحادثة عله يجد سر يخص جوا وبينما يقلب بالمحادثات وجد أن جوا تخفي علاقة حبهما عن عائلتها، وها هو أخيرا وجد ركيزة يستطيع من خلالها أن يستغلها واحتفظ بنسخة من المحادثات على هاتفه الخاص. وعندها أعاد إقفال هاتف أحمد...

****

نشرت جنى عبر صفحتها هذا الكلام:

هل هنالك أصعب من شعور الضياع ....

لا أعتقد....

ترى وهل هنالك أقسى من أن يشاركك شعور الحزن أجمل لحظاتك...

لا أعتقد أيضا...

ترى هل هنالك أصعب من استمرار رؤيتك لشخص قد حطمك وجعلك شتات الا أنك لا زلت تشعر بمشاعر اتجاهه....

لا أعتقد أيضا ...

حسنا إذا هل هنالك أصعب من رؤيتك لمن يحبك ولمن يهتم بجعلك سعيدا، ولكنك على الرغم من ذلك لا تستطيع التقدم اتجاهه حتى بخطوة...

في الحقيقة هنا يكمن الضياع....

أعلم أنكم لم تستطيعوا استنباط شيء من كلامي، ولم تستطيعوا ربط المواضيع ببعضها ولكن في الحقيقة هذه الأمور التي تدور بمخيلتي وأعجز عن فهمها أو حلها.....

نال هذا الكلام الغير مترابط اعجاب اصدقائها، فكل كلام يخرج من القلب يصل الى القلب بدون تكلف، الا أن جود أخذ الامر بجدية وحاول أن يفهم ما قصدته الا أن محاولته لم تجدي نفعا فذهب ليستفسر منها فأخبرته أن ذلك مجرد كلام كتبته وليس بالضرورة أن يكون مرآة تعكس واقعها...

في صبيحة اليوم التالي

ليلاس: جنى هيا أخبريني كل ما حدث منذ ذهابكما سويا

جنى: حسنا يا فضولية سأخبرك .....

"لا أصدق عانقته" قالت ذلك ليلاس وهي تكاد تقفز من الحماس

_: لا تذكريني بذلك فكلما تذكرت أشعر بكمية كبيرة من الاحراج، ولكن الموقف الذي جعلني أعيشه كان لابد لي من أن أفعل ذلك من دون وعي مني...

_: دعك من حرجك الآن وأخبريني لازلت تشكين بحبك له..

_: في الحقيقة لا أعلم دعينا من ذلك. كيف هي أحوال كرم إذا

_: أتعلمين أفكر في أن أخبره اليوم عن اعجابي به..

_: هل أنت مجنونة؟؟

_: لست مجنونة ولكن أحب

_: وهل الحب يلزمك فعل هذا

_: عزيزتي أنا لست مثلك جبانة أنا فتاة إذا أحبت أخبرت من تحبه، الحب يحتاج الى الجرأة والجنون ان صح القول...

_: إذا وكيف ستخبرينه؟

_: سأذهب اليه الآن وأخبره أن هنالك أمر ضروري أريد التحدث به معك بعد انتهائنا من الجامعة

_: لأخبرك من الآن لست مسؤولة عن النتائج...

_: لا تقلقي كل شيء سيجري على ما يرام. أثق بالحب وبأهمية أن يتجرأ الشخص ويحطم حاجز الخوف، أنا ذاهبة اليه

وبينما ليلاس تتوجه الى كرم تسارعت نبضات قلبها أصابها شعور يحثها على العودة ولكنها عملت على إبادة ذلك الشعور وأكملت، حين وصلت أضاعت حروفها لا شيء في ذهنها أصاب يداها الرعشة فعندما لم تتكلم بادر هو بقول: صباح الخير ايتها الزميلة، هل يلزمك شيء؟ حدثت نفسها لو أنها تجيبه أنه ما يلزمها هو، وجوده في حياتها، ومثوله بجانبها ولكنها اكتفت بقول: صباح النور. في الحقيقة أريد أن أفاتحك بأمر هام..

"وما هذا الامر. في الحقيقة انا لا اعلم عنك سوى القليل" قال ذلك وهو رافع لحاجبيه مبرزا حيرته

ليلاس: أعلم ذلك، لذا أريد أن نلتقي بعد انتهاء دوامنا في الجامعة

_: لا مشكلة...

_: حسنا أعطني رقمك لأهاتفك عند انتهاء محاضرتي ونتفق على مكان اللقاء

_: سجلي **********09 والآن الى اللقاء...

****

اجتمع مهند وأحمد وأعطى مهند الهاتف الى أحمد

" إذا، قد كان بحوزتك وأنا كنت أبحث عنه طوال الوقت، ظننت أنني أضعته" قال ذلك وهو يقلب الهاتف بيده وكأنه يتفقد سلامته..

مهند: نعم لقد كان بحوزتي البارحة نسيته على الطاولة ولم أستطع اللحاق بك...

_: نعم صحيح شكرا لك. سأعتذر منك فاني مضطر أن أذهب فمحاضرتي قد ابتدأت...

_: لا عليك الى اللقاء..

تجول مهند في حديقة الجامعة وعيناه تتطلعان لعلهما تصادفان جوا لم تمضي سوى بضع دقائق، ومن ثم تماثلت جوا أمام عينيه فذهب اليها وهو يحاول استجماع أفكاره....

مهند: مرحبا

جوا: ماذا تريد أيها المزعج...

_: لا تتكلمي بهذا الشكل معي لئلا يصيبك ما تخشين

"في الحقيقة أثرت في نفسي المخاوف" قالت له ذلك وهي تقلب بين صفحات كتاب تطالعه من دون أي اهتمام بكلامه

_: لا تأخذي الامر باستهزاء فلو تعلمين ما أعلمه لن تجرئي أن تكلميني بهذا الشكل

_: هيا أعلمني بما تعلم

_: هل نبدأ بعلاقتك بأحمد أم بإخفائك الامر عن عائلتك

_: (تعالت ضحكاتها) كنت أعلم أنك ستفتح هاتف أحمد ولكنه لم يصدقني قلت له..

" نعم فتحت هاتف أحمد ولكن ما المضحك" قال ذلك واشارات الاستفهام تعلو رأسه

_: المضحك يا عزيزي غباؤك فجميع المحادثات التي قرأتها من هاتف أحمد والتي تخصنا قد اختلقناها معا أحمد مجرد صديق بالنسبة لي واتفقنا على أن يتناسى هاتفه لنختبرك..

"وما الفائدة من فعلتك هذه" وقد وضع يداه في جيبه مبرزا عدم تأثره بذلك، وحارما إياها من لذة الانتصار.

_: الفائدة أنني برهنت صدق حدسي كنت متيقنة منذ البداية أن صداقتك بأحمد لم تكن وليدة الصدفة بل مدبر لها. تغافلت عن

ذكائي، أؤكد لك، لن تستطيع فعل شيء لي فلا تحاول مرة أخرى....

وذهبت من دون أن تسنح له المجال لقول كلمة، بدا بشتم نفسه وغيظه منها بدأ يزداد ويزداد، كما أن غروره ذهب مع الرياح عزم على الانتقام منها هذه المرة بفعل شنيع للغاية مسببا لها العديد من المشكلات....

****

اتصلت ليلاس بكرم واتفقا على اللقاء في مقهى قرب الجامعة بعد نصف ساعة ذهبت الى مغاسل الجامعة وأصبحت تحادث نفسها من خلال المرآة ((أنا قوية سأستطيع فعل ذلك أنا أحبه حقا)) وكررت جملتها هذه عدة مرات ثم توجهت الى المقهى في حين وجود كرم مع أصدقائه

كرم: الى اللقاء يا أصدقاء

صديق كرم: الى أين؟

_: لدي موعد مع فتاة حمقاء سطحية سأقابلها وأعود لكم

_: حسنا وكالمعتاد أعتقد أنك أنت الأحمق فهل هناك أحد يذهب ليقابل الجنس اللطيف ويتكلم هكذا...

_: وكأنك لا تعرفني ولا تعرف طباعي لا أحب الاحتكاك بهن هيا الى اللقاء لا أريد أن أتأخر..

كرم من النوع الذي لا يهتم بالفتيات ولعله يبغضهن من دون سبب منطقي....

في المقهى

كرم: ها أنا قد جئت ما الأمر....

" لنطلب شيء في البداية" ألقت هذه الجملة لتزيل صعوبة البداية، ولتقلل من حدة طبعه التي أبداها فور مجيئه

_: في الحقيقة ليس لدي الكثير من الوقت لذا أخبريني ما الأمر ودعيني أذهب

_: حسنا في الحقيقة أنا...

"أنت ماذا؟" بانفعال وعصبية

_: أنا معجبة بك

تعالى صوت ضحكه الا أنه حاول إيقاف ضحكاته عندما رأى الجدية التي تظهر على ملامحها، بل عندما رأى الدموع تتسلل الى مقلتيها وكأن البحر يكمن في عيناها...

_: أنا أعتذر هل كنت تتكلمين بجدية

" وهل هناك مزاح بيننا نحن لا شيء بيننا ولن يكون قد كنت أعلم" وعملت على تجفيف دموعها بمنديل

_: إذا كنت تعلمين فلم أقدمت على هذه الخطوة؟

_: أتعلم أنت حقا بلا قلب أنا حمقاء....

_: اعذريني على فظاظتي هذه، ولكن أنا هكذا أنا شخص لا يهتم بالمشاعر، بالأحاسيس، تفكيره بخصوص شريكة حياته أن

يجد فتاة ماهرة في أعمال المنزل، محافظة ليس لديها علاقات بصحبة شبان، وأنت جميع هذه الصفات لا تملكينها

_: وكيف حكمت بهذه السرعة أنني لست ماهرة بأعمال المنزل وما مشكلتك بعلاقاتي إذا كانت بريئة وشريفة...

"ببساطة أنا رجل شرقي" قال ذلك لينهي الحديث، ولكيلا يدخل معها في نقاش

"ولكن هذه ليست مبررات كافية لترفضني "

_: في الحقيقة أنا أراك فتاة سطحية ولا تناسبيني وانتهى الأمر

وذهب من دون أن يعطيها المجال لأن تنبث بكلمة حتى ...

نعم أنتم كذلك أيها الرجال عديمو الإحساس، عديمو القلب مع من لا تبادلوهم الحب لا ترأفون ولعلكم لا تشعرون... أتعلمون لما قيل لنا ناقصات عقل لأن عاطفتنا تغلبنا أحيانا بل كثيرا وهذا ما دفع ليلاس تبقى تحاول لإقامة علاقة مع شخص فظ مثله بل شخص قاس لهذا الحد... لم يعير اهتماما لتضحيتها قد كسرت كبرياءها من أجله، وتخلت عن غرورها أيضا الا أن تضحيتها ذهبت للشخص الخاطئ ترى هل ستجلد نفسها وتبقى على حالها أم ماذا؟

بعد هذا الموقف الذي تعرضت له تبادر لذهنها شخص واحد فقط وهو مهند اتصلت به ودموعها تنهمر من عيونها الزرقاء شيئا فشيئا.... ليلاس: مهند أريدك تعال أرجوك الى المقهى القريب من الجامعة....

مهند: ليلاس ما الأمر لما تبكين هيا أنا قادم على الفور...

لم تمضي سوى دقائق قليلة وأصبح بجانبها

مهند: من المتسبب بذرفك لهذه الدموع الغالية يا شقيتي

ليلاس: ومن غيره... أكرهكم أنتم الرجال

_: ماذا هل كرم؟؟

_: نعم ومن غيره أخبرته أني معجبة به الا أنه سخر مني ومن ثم لقنني كلاما قاسيا وأخبرني بأني لا أناسبه وذهب

_: لن أقول لك أني سأذهب وألقنه ضربا مبرحا فلست مراهقا ولكن سأقول لك شيء أنت حمقاء كيف تسمحين له أن يقول لك هذا الكلام كيف؟ أين شخصيتك القوية أين ليلاس التي أعرفها هل يسقطك رجل هل يحطمك كلام شخص منحط وعديم الأخلاق مثله

"عن أي شخصية تتحدث أيها الأحمق وهل ذقت طعم الحب ذات مرة بالطبع لا، لو أنك تذوقته لاستطعت أن تفهمني ولكن الآن أنا حقا كسرت أنا حقا خجلة من نفسي التي هدمتها من أجل شخص أشعر أن كرامتي تلاشت وذهبت مع الرياح" ووضعت يديها على وجهها مبرهنة خجلها....

_: حسنا كفي عن ذلك ليست نهاية العالم استجمعي نفسك

_: أخبرني لما أنتم هكذا

_: ماذا تقصدين

_: لما أنتم عديمو المشاعر الى هذا الحد حتى أنت لست أفضل منه صحيح أنك تعاملني جيدا وذلك لأنك تعتبرني كأختك ولكن أعلم أنك تكسر قلوب فتيات كثيرات....

_: انتهينا من كرم ووصل الأمر الي حسنا لأخبرك بشيء أنا لم أعد فتاة أني سأبقى معها، وجميع الفتيات يدركن أنني زير نساء فالمدان في هذه القضية الفتاة التي تأتي وتغرم بي هي من تختلق لنفسها حياة برفقتي، ولكنني أبقى زير نساء فأغادرها وأذهب لغيرها هي من حطمت نفسها بنفسها....

_: وكم أنك مخادع تعلم كيف تبرأ نفسك

_: هذه الحقيقة عزيزتي وكفي عن نكدك هذا ولا تنقمي على معشر آدم كله فنحن طيبون وجيدون (وهو يضحك)

_: طيبون وجيدون إذا!!

_: اياك أن تصدقي ذلك حذرتك في السابق والآن كما وعدتك أنا بجانبك...

_: لما لست حبيبي

_: عزيزتي لعله يوجد في الماء الذي شربته بعض من الكحول..

_: ليست مضحكة..

_: حسنا تريدين أن نقيم علاقة حب ليس لدي مانع كما تعلمين..

_: لا. أمازحك بالطبع لا أفكر في أن تكون حبيبي يا زير النساء ولكن أعجبني وقوفك بجانبي فقط لا غير يا أخي...

_: لأول مرة أحد يقول لي أخي بصوت أنثوي (وهو يضحك)

_: أليس لديك أخوات

_: بلى لدي ولكن لا ينادوني سوى بالمخادع وإذا تكرمن يقلن مهند

_: أوه لا أصدق قد انتشرت سمعتك حتى في منزلك

_: نعم فبنات خالتي لم يسلمن مني

_: اذهب من وجهي يا زير النساء

_: لا تنكري أن زير النساء هذا قد عدل من مزاجك

_: نعم لا أنكر ولكن أريد الذهاب الآن لئلا تتبرأ مني عائلتي

_: هيا الى اللقاء

****

في الليل نشرت جنى عبر حسابها الشخصي على برنامج Facebook:

ترى كيف بإمكاننا التخلص من مشاعر رافقتنا لفترة طويلة كيف ننساها؟ كيف نتجاهلها؟ أواجه مشكلة مع قلبي الذي لا يرحمني لا يدرك أن عليه أن يستهين بمن استهانوا به وأن يمنعهم من التجول بداخله، عليه أن يعي مقدار الكسر الذي أحدثوه بداخله فليكف عن غبائه وطيبته لن يعودوا هم ولن

يعتذروا اعتادوا على الجفاء اعتادوا الهجران. وحان الوقت لهجرهم وانتزاعهم الى الأبد.....

بعثت يمنى صديقة جنى من الميتم رسالة لجنى قائلة فيها: ما الأمر جنى هل حدث أمر جديد بشأن حسين

جنى: نعم حدث، حدث الأمر الذي توقعته بعد كل ذلك الهجر والجفاء الذي خرج منه، والذي توقعته من كل البشر الا هو...

_: ما الذي حدث!

_: خطب...تخيلي كم أنني رخيصة بالنسبة اليه

_: هوني عليك لا يستحقك صدقيني. تعلمين أشعر أن جود جاد معك ويحبك

_: ما الذي جلب الأمر لجود الآن. أنا لم أعد أثق بالرجال ولا بالحب لم أعد أثق بشيء

_: ولكن الأمر مختلف الآن ألم تري ماذا فعل من أجلك في عيد ميلادك

_: بلى رأيت ولكن لا أعلم في الحقيقة نهايتي لابن عمي كما قال لي والدي وكما جرت العادة في عائلتنا

_: كفي عن يأسك.... تفاءلي قليلا

_: حسنا أحاول على جميع الأحوال غدا سآتي الى الدار لأنني اشتقت لطفلتي ونتحدث هناك...

****

الليل من جانب ليلاس مختلف كثيرا ولا سيما بعد الموقف الذي تعرضت له تفكر ما الذي تفعله ما الذي سيحسن من حالتها النفسية وبعد ضياع كبير وخيبة اختارت أن تنتقم من معشر آدم اختارت أن تجعل الشبان يحبونها وتعلقهم بها ومن ثم ترحل لم يكن السبب الوحيد لانتقامها هو الموقف الذي تعرضت له لا بل مجموعة من الأفكار السيئة التي تخص جنس أدم والتي تجمعت في ذهنها على مر السنين لذا شكل هذا الموقف الدافع لخروج هذه الأفكار والانتقام من معشر الذكور. وكبداية لخطتها البشعة ذهبت لتراسل ذلك الشاب الذي أخبرها في السابق بإعجابه بها والذي رفضته لوقوعها بحب ذلك المدعو كرم، أصبحت تحادثه كل يوم بل وكل ليله للحد الذي جعله مدمنا عليها أي أن خطتها تنجح....

أما مهند فقد كانت خطة انتقامه أكثر بشاعة بل أكثر وضاعة ان صح القول، فعندما وجد أن جوا حقا فتاة لا يمكنه استغلالها بشيء بدأ بتلفيق الكلام والإساءة اليها والطعن بأخلاقها بل حتى بشرفها. انتشرت القصص عنها في الجامعة حتى أصبح كل من في الجامعة يتهامسون عليها، وهي جاهلة عن جميع الأقوال التي تحكى عنها الى حين جاءت زميلة لها، نظرت لجوا بنظرة ازدراء ومن ثم قالت: حقا أمرك عجيب تغدقين علينا بالكلام عن الأخلاق والشرف ومن ثم تصلنا أخبارك أنك بصحبة شبان ليلا في أحد المقاهي ولكن حقا يكاد فضولي أن يقتلني ترى بصحبة من عدتي الى المنزل؟، أو هل يعطونك مالا؟، ومن ثم ضحك كل من حولها والجميع ينظر لجوا بنظرة ازدراء...

لم يتمالك عقل جوا الكلام الذي قيل لها فسقطت أرضا وقد أغمي عليها، تسارع أصدقاءها لنقلها لأقرب مشفى في حين أن الفتاة أكملت كلامها قائلة: بالتأكيد هذه ألعوبة لتتهرب من الإجابة، حينها أتى مهند وعمل على الرد عليها قائلا: ألن تصمتي أيتها الشريفة ولنضع خطا تحت كلمة شريفة كل من في الجامعة يعلم من أنت، حاولت أن أضبط لساني قدر المستطاع ولكنك تجاوزت حدك. وأنتم كيف تسمعون لكلامها وتضحكون هكذا أي زملاء أنتم ومن ثم ذهب. في الحقيقة من يسمع كلامه يظنه صديقها المقرب وليس المروج لكل ما يقال عنها من أكاذيب، والسبب الذي جعله يدافع عنها هو ضميره قد كان هناك صوت في داخله يقول له يكفي هذا السوء الذي تسببت لها به أنهي هذه المهزلة، وبالفعل أطاع أمر هذا النداء الداخلي الا أن هذا الصوت سيكون السبب في كشف أمره....

في المشفى

أحمد دخل مسرعا الى الغرفة التي تتواجد بها جوا واقترب من سريرها

أحمد: ما الذي حدث؟

جوا: لا أفهم شيء مما يحدث كل ما أعلمه أنني منحرفة في نظر جميع من في الجامعة

_: وكيف ذلك من الذي تحدث بكل هذه الاشاعات والاكاذيب عنك وأنت محبوبة من قبل الجميع

_: كم أن ذاكرتك ضعيفة بل يوجد من يكرهني أنسيت

_: تقصدين مهند لالا أستبعد هذا الأمر فلقد أخبرني بعض الزملاء أنه بعد نقلك للمشفى أخذ يدافع عنك ويسكت تلك الساقطة التي تكلمت عنك

_: بعد إخبارك لي بهذا أصبحت على يقين بأنه هو الناشر لتلك الأكاذيب، ولن أبقى صامتة له وسأخبر عميد الكلية

_: ولكن كما سمعت فإن والده مسؤول كبير

_: وما شأني بذلك لا أخاف منه، لي حق ويجب أن أخذه

_: لا أعلم فكري بالأمر جيدا قبل أن تقدمي على فعل أي شيء

_: ولكن أتعلم لم أتوقع من مهند هذا التصرف كنت أشعر أنه شخص مسلي ولطيف الى حد ما على الرغم من مضايقته المستمرة لي الا أنني كنت أتوقع أن نصبح أصدقاء لكنه تجاوز حده هذه المرة.....

****

جاء اتصال الى جنى من صديقتها يمنى الكائنة بالدار تحثها فيه على القدوم فإن نور أو كما تسميها بطفلتها تبكي من دن توقف وتطالب بمجيئها، أصاب جنى الهلع وذهبت مسرعة اليها وعندما وصلت استقبلتها ودموعها تنهمر من عينيها البندقيتين وامسكت بقدميها وهي تصرخ وتقول ابقي معي دائما أنا أحتاجك لم تتمالك جنى نفسها، وانحنت لمستوى نظرها واحتضنتها قائلة لها اهدأي يا عزيزتي سيمضي ها أنا معك

الآن ما الأمر أخبرني وجعلت نظرها يواجه نظر نور وقالت لها هيا أخبريني ما الأمر

نور: لا لا شيء ولكن فقط اشتقت لك

لم يكن جوابها مقنعا بالنسبة لجنى ولا سيما أنها كانت تتقصد ألا تصطدم عينيها بعيني جنى وهذا ما يدل على كذبها كانت هذه المرة الأولى التي تتصرف بها نور هكذا.....

جنى: حسنا عزيزتي ها قد جئت اهدأي.....

كان الأمر مريبا لها لم تعلم ما الذي بإمكانها فعله، ذهبت الى يمنى تحاول أن تفهم الأمر الذي جعل نور بتلك الحالة المزرية

جنى: الا أنها لم تستطع استنباط أي شيء، فلم يكن لدى يمنى أي معلومة.

وغادرت الدار والقلق والخوف يحكمان قبضتيهما عليها

****

ذهبت جوا بعد تعافيها من الصدمة التي أحدثتها لها تلك الفتاة الى عمادة الكلية لتخبر العميد بكل شيء، وقد كان العميد يعطي لمن لديه حق حقه ولا يرأف بأحد ويؤمن بأن عليه تحقيق العدالة فهو رجل شريف، رحب الصدر، يستمع الى هموم الطلبة ويحاول مساعدتهم.....

جوا: صباح الخير أستاذ

العميد: صباح النور، ما الأمر

_: في الحقيقة تعرضت لإساءة كبيرة لي في الجامعة وقد طعن بشرفي وأخلاقي من قبل شخص

_: في البداية أخبريني باسمك ومن طلبة أي سنة؟

_: اسمي جوا من طلبة السنة الثانية

عمل على البحث بين الملفات على اسم جوا ومن ثم وجده وقرأ ما دون بداخله

العميد: إذا فأنت فتاة مجتهدة وخلوقة كما ظهر لي من تقييم دكاترتك، من هو الشخص الذي تسبب لك بإساءة وأريد منك أن تحدثيني أكثر عن الأمر

_: حاضر. المتسبب هو طالب من السنة الثالثة يدعى مهند، في البداية شعرت أن الجميع يتهامسون بشأني وبعض الزملاء أصبحوا يبتعدون عني ولم أفهم السبب الى حين مجيء احدى طالبات دفعتي فعندها عملت على القاء الكلام المسيء كثيرا لي ومن ثم لم أتمالك نفسي ونقلت الى المشفى

_: نعم فهمت الأمر ولكن ما الذي جعلك واثقة أن مهند هو المتسبب

_: في الحقيقة ليس هناك دليل ولكن انه الوحيد الذي يبغضني

_: لا أستطيع فعل شيء به ما لم يكن هناك دليل لذا سأبحث بالأمر وأستدعي تلك الفتاة التي ألقت الكلام عليك وأعرف مصدر تلك الاشاعات، والآن بإمكانك الذهاب وتأكدي ان كان

هو المتسبب أو غيره سيتلقى الفصل ولكن قبل ذهابك اكتبي لي اسم تلك الفتاة....

_: وهذا الذي أتأمله من حضرتك.....

وكتبت اسم تلك الفتاة ومن ثم غادت الغرفة. لم يتماطل العميد في هذا الأمر وفي الحال أرسل أمرا لتلك الفتاة بالمجيء اليه

عملت على المراوغة في البداية الا أن طبع العميد الجاد غلبها وأخبرته باسم من أخبرها بتلك الاشاعات وهكذا أصبح العميد يستدعي الطلاب طالب تلو الأخر الى حين وصل الأمر الى اسم مهند، كما توقعت جوا فقد كان المصدّر لتلك الاشاعات

العميد: تعلم لماذا استدعيتك على ما أظن

"لا" قال ذلك مهند بعدم مبالاة

_: لا تراوغ معي وعلى جميع الأحوال استدعيتك من أجل الاشاعات التي تصدرها على جوا

"ي اشاعات؟" مدعيا اندهاشه

_: إذا كنت ستبقى هكذا فخذ ورقة فصلك واخرج من أمامي

_: حسنا نعم أنا الذي نشرت تلك الاشاعات لأسباب خاصة

_: وبأي حق تنشرها أسبابك تلك ترميها خارج الجامعة، داخل جامعتي لا يحق لك اصدار مثلها، والآن ها هي ورقة فصلك من الجامعة، ولا تحاول معي لأنني لن أتراجع عن هذا القرار واذهب من وجهي.....

وأخذ مهند تلك الورقة وخرج وهو يعاني من الصدمة لما حدث معه ولكن لم يهتم كثيرا لأمر الفصل لأنه كان على يقين بأنه سيعود الى الجامعة وذلك بسبب منصب أبيه...

ومن ثم تجمع جميع طلاب الجامعة حول لوحة الإعلانات التي أعلن فيها عن فصل مهند بشكل نهائي ذاكرين السبب الذي فصل من أجله، كما أن العميد لم يرأف بالمساعدين في نشر هذه الاشاعات بل عمل على اصدار فصل لمدة أسبوع لكل من ساهم في ذلك....

كان فرحة جوا لا توصف اذ أنه تم تبرأتها وأخذ حقها..

****

بينما ليلاس تتجول بصحبة ذاك المعجب بها، قد شعرت بوجود عيون تسترق النظر اليها وتعود ملكية هذه العيون لوسيم الكلية والذي تحيطه الفتيات من كل حدب، تقصدت المرور بجانبه فمرر لها بورقة أخذتها من دون أن تلفت نظر من تتجول برفقته، وعندما افترقت عن معجبها فتحت الورقة ونظرت الى ما كتب عليها وإذ باسم إياد وبجانبه رقم هاتف، أعجبها هذا التصرف الذي بادرها به لأنها وجدت فريسة جديدة تستغل مشاعرها، لذا لم تتمهل كثيرا واتصلت به .....

ليلاس: مرحبا، إياد؟؟

إياد: نعم إذا انت تلك الفتاة الجميلة التي اعطيتها الورقة سررت باتصالك، ولعلي كنت انتظر هذه الفرصة منذ زمن...

_: في الحقيقة كنت مترددة قليلا

_: لا لماذا التردد الأيام كفيلة بأن تريكي كم أنني شخص موثوق ومحب صادق، بالمناسبة من ذلك الشاب الذي كنت تتجولين برفقته

_: آ ليس سوى صديق

_: ولكنني أغار في الحقيقة

_: ألا تظن نفسك تتسرع

_: لا ولكن ظننت أنك أعجبت بي كما أعجبت أنا، متأسف ان أزعجتك

_: لا لا ليس الأمر كذلك ولكن لم أعتاد على شيء مثل هذا ربما

_: لا تقلقي سأجعلك تعتادين ولن تستطيعي النوم من دون سماع صوتي

_: كم أنك مغرور وواثق من نفسك

_: ليس الأمر كذلك ولكن جميع الفتيات يحبونني ولكن لسوء حظي أعجبت بك(ضاحكا)

_: حسنا.... يكفي اليوم نتكلم غدا

لم تعلم ليلاس نوع المشاعر التي اختلجتها بل لما شعرت أنه شخص مناسب لها (هكذا الفتيات من السهل اغواؤهن) ولكن

أوقفت مشاعرها وأفكارها، واتصلت بمعجبها السابق تخبره بأنها لم تعد ترغب بوجوده في حياتها، مكملة بذلك خطتها..

المعجب: كيف حالك محبوبتي

ليلاس: بخير أريد أن نتكلم بأمر جدي

_: حسنا، ما الأمر

_: في الحقيقة أنا حاولت كثيرا أن أحبك، ولكن لم أستطيع لذا أريد أن نبتعد وكل منا يذهب في طريق

_: ليلاس هل أنت مدركة لما تقولين كيف تريدين أن أبتعد وأنا مغرم بك وواقع بعشقك... كيف سأستطيع أن أنسى تفاصيل التي عشتها معك، والتي أعدها أجمل فترات حياتي على الرغم من أنها لم تتجاوز الشهرين، كيف تستطيعي أن تكوني بهذه القسوة أي قلب تمتلكين.....

_: ليس هناك فائدة من الكلام صدقني هذا أفضل لنا

_: هذا أفضل لك وليس لي، أنت أنت .... لا يطاوعني قلبي على قول أي كلمة مسيئة بحقك

_: لا تتعبني وتتعب نفسك هيا إلى اللقاء

وأنهت الاتصال من دون أن تترك له مساحة لقول شيء لم ترد على أي من رسائله ولا حتى اتصالاته لا تعلم أشعرت بالسعادة لأنها استطاعت أن تنتقم لما حدث معها أم حزنت عليه لأنه صادق بحبها، عاد لها مشهد لقائها بكرم وكيف تعامل معها. عندها تسلحت بقسوة أكبر وبهمة أعلى لتكمل طريقها في

الانتقام من جنس آدم، وأخبرت نفسها بأن إياد سيكون التالي.....

هذا ما تصنعه الخيبة والخذلان من قبل أناس احتلوا قلبنا وجسّدوا دور المحتلين بجدارة في القسوة والجفاء، الحب من أقوى المشاعر بعد الأمومة بالنسبة للمرأة ولعلها قضية من أهم القضايا التي تشغل الفتاة مهما بلغت من الرشد والعقل فاصطدامها به يعني لها الكثير، لذا قد تكون ردة فعلها قاسية في بعض الأحيان إذا تعرضت للرفض ولكن هذا لا يعني نهاية العالم أو حتى نهاية الحب المتواجد في الكون هناك فرص كثيرة أمامنا ما دام الهواء يدخل الى صدورنا ويخرج.....

جود وجنى يجلسان سويا في حديقة الجامعة...

"ملامحك توحي بأنك حزينة ما الأمر" والقلق قد بدا جليا عليه

جنى: لا شيء...

_: وكأنني لا أعرفك هيا أخبريني ما الأمر

_: في الحقيقة تشغل تفكيري نور كثيرا

_: هل أصابها شيء

_: لا ولكن في الأيام السابقة كثيرا ما كانت صديقتي يمنى تهاتفني لأجلها تطلبني كثيرا وتبكي ولا تهدأ الى حين مجيئي أسألها عن السبب لا تجيبني سوى أحبك وأحتاجك....

_: لعلها فقط تفتقد لمشاعر الحب من أم لذا تتصرف هكذا

_: لا ليس الأمر كذلك أشعر أنها خائفة تحتاج الى الأمان وكأن هنالك أحد يزعجها ولا تخبرني أو لا أعلم

_: إذا كان الامر كذلك فلما لا تحاولي فهم الامر من يمنى

_: سألتها مرارا ولكنها في كل مرة تبادرني بقول لا أعلم ولكن قلبي غير مطمئن

_: هل ترغبين أن أذهب برفقتك اليها لعلي أستطيع أن أستفهم منها شيء

لم تعلم ما الذي تقوله ولكنها حقا كان بحاجته ولكن كبرياؤها لم يسمح لها أن تستجير به ولعلها أيضا لم تكن تريد أن يتقرب أكثر منها....

_: لا شكرا لا أريد أن أزعجك

_: تعلمين أنك لا تزعجيني

يكاد دماغ جود ينفجر، لم يعد يفهم سبب جفائها معه، بل ابتعادها عنه، لكنه على الرغم من ذلك بقي متمسكا بها وواثقا من حبه لها....

فأردف كلامه قائلا هيا فلنذهب معا اليها الان...

_: ولكن ...

لم يدعها تكمل وأمسك بمرفقها بلين وأصبح يمشي ويجعلها تتبعه، تعثرت مرارا، وحاولت أن تبعد يده لكن دون جدوى.. نعم انه كذلك، حب الرجال قوي وعنفواني، لا يعرفون

للاستسلام طريق وإذا لزم الأمر أقاموا حربا للحصول على محبوبتهم لنكن متيقظين أنا أتكلم عن الرجال وليس أشباههم وهذا الأمر فقط ان تمكنت فتاة من قلوبهم، ولعل ذاكرة القلب لديهم تستحضرها مهما مضى من أيام، وحتى شهور، وسنين.
على الرغم من انحيازي لجنس حواء وذلك لانتمائي له بالضرورة الا أنني أشهد أن حب الرجل لفتاة يكون أكثر اخلاصا ووفاء من أي فتاة أعيد وأكرر أتكلم عن الرجال لا أشباههم ....

وصلا الى الدار وكما هي العادة ارتمت نور بحضن جنى

"العم جود معك أيضا" وهي تقفز معبرة عن شعورها العارم بالفرح..

اقترب اليها جود ورفعها عاليا قائلا لها كيف حال صديقتي

ولكن نور ظهرت عليها ملامح الحزن ثم قالت على ما يرام

"جنى ألم تخبريني أنك ذاهبة الى يمنى قد كنت تريدين منها أمرا" قال ذلك وهو يغمض عينا من عينه، مشيرا اليها بالخروج ليبقى مع نور وحده، ففهمت مقصده وخرجت

جلس جود ووضع نور ذات السبع سنوات على قدميه محاولا أن يصنع نوع من المودة بينه وبينها....

جود: نور ما رأيك أن أخبرك بقصة؟

"نعم أحب القصص كثيرا" بحماس طفولي

_: حسنا. عندما كنت صغيرا تهجم على صديقي فتى يكبره بخمس سنين، وأشبعه ضربا ومن ثم عمل على تهديده ان أخبر المعلمة، فسيبقى يلقنه الضرب طيلة حياته فبقي صديقي صامتا ولم يتكلم الى حين أخبرني

_: وماذا فعلت أنت عندها

_: عملت على مساعدته وأخبرت المعلمة فعملت على طرده من المدرسة ولم يتضرر صديقي البتة ولكن إذا بقي صامتا كان سيعاني طيلة حياته

شردت نور قليلا ومن ثم قالت: ولكن ألم تخاف من تلقينه الضرب لك أيضا ان أخبرت أحدا

_: لا لأنه ليس صحيحا أن يضربني وهذا فعل غير مقبول ولكن لا تخبري أحدا بهذه القصة ستبقى سرا بيننا

_: حاضر لن أخبر أحدا

_: إذا وهل لديك أصدقاء يعانون مثل صديقي، تُرى هل احدى صديقاتك تتلقى التوبيخ أو الضرب

نظرت نور الى الأرضية وتفجرت الدموع من عينيها، لم يعلم كيف يتصرف معها، اكتفى بعناقها وبجعلها تبكي على صدره كانت بحاجة الى الأمان والحب في هذه اللحظة أكثر من أي شيء

جود: حسنا اهدأي وأخبريني ولن أخبر أحدا أعدك بذلك...

_: في الحقيقة نعم رأيت صديقة لي في الغرفة تضرب من قبل أمنا (تقصد بذلك المشرفة المسؤولة عنهم) ولكن لا لا لم أعرف ما الذي بإمكاني فعله

وبينما هي تتكلم سيطر على صوتها الرجفة، كما أن دموعها قد شكلت شلالا ينبع من عيونها ويصب على خديها الناعمين، إضافة الى رجفان سيطر على جسدها الضعيف لم تستطع أن تكمل حديثها وكأنها تعود في ذاكرتها لتتصور ذلك الموقف من جديد ويعود اليها آلامه

عاودت اسناد رأسها على صدر جود وكأنها تحاول أن ترمي آلامها على صدره

_: نور عزيزتي من المؤكد أن هناك سبب جعلها تضرب صديقتك، وهل بإمكانك أن تخبريني أكثر كيف ضربتها

_: لا لم تفعل شيء سوى أنها لم ترتب سريرها، أمسكتها من شعرها وضربتها الى الحائط حتى أن وجهها ....

لم تستطع أن تكمل من فرط الدموع التي تساقطت منها وكما أن جود بكل ما يمتلك من صلابة كادت دموعه تتمكن منه الا أنه أدرك أن عليه أن يكون صلبا وحنونا في هذه اللحظة، أصبح يجفف الدموع التي تجمعت على خدها، في حين أتت الأم التي ترعى نور وهمت بأخذها لانتهاء وقت الزيارة، فعانقت نور جود هامسة له في أذنه لا تخبر أحدا أرجوك، فرد عليها لا تقلقي صغيرتي وفور خروجها خرج الى خارج الدار، وكلمات تلك الطفلة تتردد في ذهنه لم يشعر الا بدموعة تتناثر على خده

شعر بعذاب تلك الطفلة ولعل هناك الكثير من المخبأ الذي لم تخبره به، قال في نفسه كيف لمخلوق أن يعذب طفلة لأجل ترتيب سرير فقط، طفلة فقدت عطف الأم وحنان الأب لعلها هي الأكثر احتياجا للحنان والعطف واللين في التعامل، ولا أستطيع تكذيب ما قالته نور فكانت حالتها لا تدل على ذلك عليّ غدا أن أعاود زيارتها و أفهم منها أكثر.....

أعطى هاتفه رنينا دالا على وجود اتصال ففتح الاتصال الوارد الذي جاء اليه....

"أين أنت لم أعد أجدك " قالت ذلك جنى بعصبية

جود: في الحقيقة خرجت وظننت أنك تريدين البقاء بصحبة يمنى

_: ولكن اتفقنا على أن نخرج معا، قل لي هل حدث شيء معك بخصوص نور

_: لا تكتمت ولم أستطع استنباط شيء منها...

_: أصابتني بالتشتت ما بالها يا ترى

_: هل يمنى بجانبك

_: نعم بجانبي ما الذي تريده منها

_: أعطيها الهاتف قليلا

_: مرحبا يمنى، كيف حالك

يمنى: اهلا جود، على ما يرام، ما الأمر؟

_: أريد أن أعرف هل تتغير الأمهات بالدار بين الحين والآخر

_: نعم من الممكن أن يحدث ذلك ولكن لماذا تسأل

_: إذا وهل تغيرت الأم المشرفة على نور حديثا

_: نعم هو الأمر كذلك ولكن ما الذي أدراك

_: حسنا فهمت شكرا وأتمنى ألا تخبرني جنى بشيء مما أخبرتك به

_: حسنا ولكن

_: هيا الى اللقاء

أخفى جود الأمر عن جنى لأنه علم أنها ستتصرف بعاطفتها لا عقلها وستسبب مشكلة هو في غنى عنها، لذا قرر أن يحتفظ بالأمر لنفسه ويحاول حله بمفرده

****

تجمع الأصدقاء حول احدى الطاولات

جود: أرأيتم الإعلان الموجود في لوحة الإعلانات

ورد: بالطبع ومن لم يراه

جنى: ولكن لم أفهم كيف يفعل ذلك مهند بفتاة مثل جوا

ليلاس: لا تعطوا آراءكم قبل أن تسمعوا الكلام من مهند لعله لديه سبب مقنع جعله يفعل ذلك

جنى: ليس هناك أي سبب يبرر فعلته هذه، هذه سمعة وليس لعبة أطفال. الناس يكتفون أن تلتقي فتاة بشاب وفي وضح النهار ليطلقوا عليها أبشع الكلام بل أكثره وضاعة فكيف بقوله إنها تقابل فتيان في الليل...

ورد: نعم حقا ليس له الحق في ذلك

لاحظ الجميع وفود إياد إليهم مما أثار استغراب الجميع، فلم يكن أحد بعد يعلم بعلاقته ب ليلاس

إياد: صباح الخير

ليلاس: صباح النور إياد، لأعرفك على أصدقائي جود وجنى وورد

"نعم أعرفه فهو غني عن التعريف" قال ذلك ورد وهو يمرر نظرة حادة الى إياد

ليلاس: حسنا إذا انتهى التعارف، فلنذهب إياد

بعد ذهابها انتفض ورد قائلا: كيف تصاحب ذلك الشاب كيف....

جنى: لماذا ما بال ذلك الشاب

_: لا أستطيع أن أشرح لك ذلك كونك فتاة ولكنه سيء جدا وغارق في الوحل، مهند أكثر شخص يعرفه

جنى: هذه الفتاة حقا فقدت عقلها

ولكن ورد لم يكتفي بهذا الكلام بل ظهرت شخصية ورد البعيدة كل البعد عن التي يظهرها للملأ، أصبح يبحث وراء هذا الأمر وتقرب من أصدقاء إياد الذين يتباهى أمامهم بأعماله القذرة

ولم يتوانى عن نصحها بالابتعاد عنه، الا أنها كانت مصرة وفي كل مرة تقول له فيها دعني أعلم ما الذي أتصرفه، الى حين جاء ذلك اليوم المنتظر والذي سيكشف فيه الستار ويزول القناع الذي يضعه ذلك المدعو إياد ...

ليلاس: الى أين جلبتني عزيزي قلت لي أننا سنسير قليلا ومن ثم نعود ولكنني أرى أننا قطعنا مسافة طويلة ما رأيك أن نعود

كان المكان نائي بعيد عن صخب المدينة، وقذر يكاد يخلو من الأشخاص، عندها تسلل الخوف لجوف ليلاس لم تعد تعلم ما الذي بإمكانها فعله، لم تمضي سوى بعض الثواني ومن ثم ابتدأ اياد بالاقتراب منها، تسللت يداه لتطال جسدها، ولكنها أصبحت تبعده وتحاول الهرب منه، بدأت بالصراخ الى أنها وجدت نفسها وقعت في المصيدة حيث لا فرار، مكان دنيء لا أشخاص لا أحد، تلبستها حالة من اليأس، نبضات قلبها تتسارع لم يدور في ذهنها سوى كلام ورد ونصائحه لها وكم كان محقا وكم كانت هي حمقاء، ولكن سرعان ما عاد الأمل اليها عندما تراءى لها مهند وورد قادمين نحوها خلصاها منه وتلقى العديد من الصفعات ومن ثم فر هاربا

ورد: كم من المرات حذرتك منه، وأنت تقولين لي أستطيع إدارة حياتي لولا مجيئنا وحده الله الأعلم بمصيرك

انهارت ليلاس أرضا ودموعها تذرف بلا توقف على خديها وتستمر بقول لم تكن نيتي هكذا كنت أريد خداعه، لم أطمح لأن أحبه كنت أريد فقط أن يحبني ومن ثم أرميه لا تظنني بلهاء وأنني غارقة بحبه ولكن لم أتوقع حدوث مثل هذا الأمر

مهند: لعلي الوحيد القادر على فهمك أنت تنتقمين من أجل ما حصل معك

ليلاس: وأنت أنتما من الذي جاءا بكما الى هنا!

ورد: شاء القدر أن يزل لسان أحد أصحاب حبيبك، والذي قال بأن سيد اياد يواعد فتاة اليوم ليتمكن منها، واصفا تلك الفتاة بصفاتك مما أثار جنوني، وجعلني أكون هنا بعدما هاتفت مهند

مهند: أنت حمقاء تظنين نفسك قادرة على التلاعب بشخص مثل إياد

ليلاس: ولكن ولكن استطعت تلاعب بمشاعر شاب منذ فترة

ورد: وتقولين ذلك بكل افتخار، إذا استحقيت ما حدث لك

ليلاس: لماذا أنتم يحق لكم التلاعب بمشاعرنا في حين نحن لا نستطيع لماذا؟ وانهارت باكية ....

حالة الضعف والعجز التي عايشتها ذلك اليوم لم تكن بالشيء السهل، أفكار بائسة تدور في رأسها إضافة لشعور سيء لما أصابها من قبل اياد أصبحت تفكر لولا مجيء ورد ومهند ما الذي كان سيصيبها، أي تهور الذي فعلته....

ولتخرج نفسها من دوامة هذا التفكير لجأت الى العالم الافتراضي، وبينما تتصفح حسابها على برنامج الفيس بوك اصطدمت عيناها بمنشور تطلب فيه احدى الفتيات مساعدتها بإيجاد حل لتشعر بالراحة وتزال عن حياتها الكرب والهموم وجدت ليلاس أنها بحاجة لمساعدة تماثل تلك التي تطلبها صاحبة المنشور، فسارعت لرؤية تعليقات الفتيات عليه.
أشارت بعض الفتيات لها بسماع القرآن وأخريات بقراءة سورة البقرة كما نصحوها بأن تصلي وتطلب من الله أن يساعدها....

شعرت ليلاس أن هذا المنشور كان رسالة لها فاستجابت لتلك الرسالة وحضرت نفسها للصلاة، او لنقل للقاء مع أرحم الراحمين العالم بالحال والمقدر للأمور، توسلت له طالبة غفرانه وطالبة عونه ومساعدته قاطعة عهدا معه بألا تتوانى عن عبادته...

ان الله لحبه لنا يبتلينا....

يجعل الله لنا بعض الكرب والصعاب لنعود اليه لنتقرب منه كي لا نضيع أنفسنا في متاهات هذه الحياة، ونذهب عنا النعيم الأبدي بانشغالنا بالنعيم المؤقت والفاني....

****

عاد مهند الى الكلية رغما عن الجميع وحتى رغما عن عميد الكلية الذي لم يكن بإمكانه فعل شيء، بسبب منصب والد مهند والذي يفوقه كثيرا هذا هو الوضع الحالي، فالمناصب أصبحت نافذة لتحقيق المكاسب الشخصية، وسرق خزينة الدولة...

لم يتلقى الترحيب من أحد لعودته، حتى أصدقاؤه المقربين جود وجنى قد ابتعدوا عنه، وكأنهم يعاقبونه بهجرهم إياه، ولكنه لم يأبه لأحد فقد كان طواقا لرؤية شخص واحد فقط ليتخلص من حالة الضجر والضياع التي عايشها في غيابه عن الكلية، ها قد تماثل ذلك الشخص أمامه نعم انها جوا هي من تسببت له بهذا الضياع لم يعتد الابتعاد عنها، فطيلة الشهرين السابقين لم يشغل أحد تفكيره غيرها، على الرغم من أن تفكيره كان يتمحور فقط كيف بإمكانه ازعاجها الا أنه بعد فعلته الأخيرة معها قد أزيل منه كل الكره المدفون بداخله اتجاهها، واستبدلت مشاعر الكره والانتقام بأخرى يرفض الاعتراف بها لأنه لا يستطيع تقبل أن يحب فتاة تسببت بطرده ولو كان يستحق ذلك

تسارع نبضات قلب، عدم انتظام في التنفس، برودة في اليدين كانت أعراض يشعر بها للمرة الأولى، دفعه حماسه وقوة مشاعره لئن يذهب اليها ويكلمها لم يفكر في ردة فعلها فقد كان قلبه هو من يستولي على تصرفاته في هذه اللحظة...

مهند: مرحبا أنا..... لم تدعه يكمل

جوا: كيف تجرؤ على أن تكلمني ألا تشعر بالخجل أي شخص منحط أنت ألا يكفي أنك عدت للكلية من دون أدنى عقاب

_: اهدأي قليلا، كيف من دون عقاب كل من في الكلية يبغضوني حتى أصدقائي قد أداروا ظهرهم لي، أعترف أني أخطأت وها أنا أمامك أطلب غفرانك

_: أتمزح أنت تتوقع مني أن أسامحك بعد فعلتك، عزيزي على ما يبدو أن معرفتك بجوا سطحية كثيرة

_: لا، أعلم من هي جوا هي فتاة متسامحة، طيبة القلب لا تؤذي أحد، اجتماعية ومتواضعة

_: متسامحة الى حد ما وأكون متسامحة مع أشخاص يستحقون ليس أشخاص يبغضوني ويبحثون عن ثغرة لي

_: ولكن دعينا من الماضي حقا أنا نادم قد غلبني غروري

وها أنت انتقمت مني وحطمتي غروري أمام الجميع

_: لا تحاول والآن ابتعد عن طريقي أريد الذهاب لمحاضرتي

استولت على مهند مشاعر الاستياء وشعر أن أحدا وخز السكين في صدره ومن ثم أخرجها من دون شفقة أو رحمة، كم كان متشوقا لرؤيتها ومحادثتها ولكن صدها له عذبه حقا، وكما اعتاد مهند ألا يترك شيئا حتى يحصل عليه، فاستمر في محاولاته معها من دون كلل أو يأس، لا تستطيع جوا نكران سعادتها بأن مهند أصبح يهتم بها وتشغل تفكيره، ولكنها لم تشأ يوما أن تحب أحدا أو أن تعلق نفسها بشخص. لعلها حقا تفتقد لمشاعر الحب مشاعرها تجمدت منذ زمن بعيد لذا استطاعت أن تتمتع بقوة لا تتمتع بها الا قليلات، لعل المشاعر والأحاسيس هي من تجعل من الفتاة ضعيفة وتَغَلّب أي فتاة على مشاعرها سيجعلها قوية وصلبة..

****

عاد جود للذهاب الى نور فانه لم يعرف للراحة سبيل، جود هو صاحب قلب نقي، حساس، كما أنه يمتلك ضميرا حيا.

لذا فور طلوع الشمس ذهب الى الدار طالبا رؤية نور وبالطبع لم يكن بإمكانه أن يرى نور متى شاء لكن يمنى ساعدته ليراها

جود: كيف حالك اليوم صغيرتي

ذهبت اليه تعانقه تلتمس العطف منه والحنان. شعر بجسدها يرتجف ترى أكانت الرجفة لشدة خوفها أم ماذا، عمل على خلق جو من المودة والألفة بينهما اذ وضعها على قدميه مبرزا لها الأمان الذي كانت بحاجته، الا أن رجفانها لازال مما زاد من قلقه

جود: عزيزتي ما بك

نور: أشعر بالبرد قليلا فلقد بقيت في الحمام لساعات طويلة

_: لما، ما الأمر لم أفهم

_: أمي أمي حبستني في الحمام لساعات لأنني تبولت على نفسي

_: ماذا! حبستك؟

_: نعم ولكن لم أقصد من من دون إرادة مني ك ك كانت تضرب احدى الفت يات بالعصى فلم أعلم كيف تبوولت

ومن ثم انهارت باكية خجلة من نفسها، ظانتا نفسها قد ارتكبت ذنبا، وأي ذنب ارتكبته الخوف قد تلبسها ومن المسلم به لطفلة في سنها أن تتبول لشدة خوفها.

لم يعرف جود كيف بإمكانه مواساة هذه الصغيرة كيف بإمكانه تخفيف ما تعانيه، شعر أنه في موقف صعب للغاية للمرة الأولى في حياته....

جود: حبيبتي نور هوني عليك لم تفعلي شيء أنت، جميع الأطفال الذين هم في سنك يحصل لهم ذلك لا تقلقي سأحاول أن أجد حلا، والآن اذهبي لتحضري نفسك للذهاب لمدرستك..

لم يستطع جود أن يبقي ما قالته له الطفلة في قلبه من دون أن تعاقب من فعلت ذلك بالطفلة، لذا توجه الى إدارة الدار

وجد أمامه امرأة تبلغ قرابة الخمسين عاما تقدم اليها طالبا مجالستها والحديث بصحبتها لأمر مهم....

المديرة: ماذا تريد أخبرني بسرعة فإنني مشغولة

جود: في الحقيقة هناك احدى الفتيات.....

وأخبرها الأمر وعندما انتهى انكرت المديرة قائلة

المديرة: هذا هراء لا يمكن لإحدى المشرفات أن تفعل ذلك ليس هذا سوى مخيلة طفلة حمقاء صغيرة

جود: ولكن من غير الممكن أن تكذب فتاة بعمرها بهذا الشكل

"رجاء لا تتدخل فيما لا يعنيك والان اذهب" مشيرة بيدها نحو الباب

لم تتعاون معه المديرة وكما بدا له فإنها تؤيد المشرفات ولا تعمل لمصلحة الفتيات. عند خروجه رأى الفتيات يتوجهن الى مدارسهن فتبع مجموعة منهن الى مدرسة دخل الى تلك المدرسة ليسأل عن الطالبات وسلوكهن داخلها، اصطدم بإحدى المدرسات...

جود: صباح الخير سيدتي

مدرسة: صباح النور، أخبرني هل تحتاج شيء

_: في الحقيقة اريد مساعدتك تلك الفتيات اللاتي دخلن منذ قليل من القائم على تدريسهن

_: أنا من أقوم بذلك، هل هناك خطب

_: بصراحة تامة أحاول دراسة سلوك فتيات الدار، فما الذي بإمكانك افادتي به؟

_: إذا كان الأمر كذلك تفضل برفقتي الى غرفة المعلمين

ومن ثم دخلا الغرفة وأغلقت الباب وجلست على احدى الكراسي الموضوعة، ومن ثم أطلقت تنهيدة وقالت: لا أعلم ما الذي أقوله لك أحزن عليهم كثيرا، أراهم مليئي النفس يأتون الى المدرسة ليفرغوا ما في داخلهم وليرتكبوا المشكلات، كما يتصرفون بشكل سلبي وعنيف، بإمكان أي شخص معرفة أنهم لم يروا في حياتهم الا القسوة...

_: لما لم تتحركي إذا ولم تخبري عن الأمر

_: لا أستطيع تعريض حياتي للخطر فكما يشاع أن مديرة الدار ذات نفوذ عال وبإمكانها ازالتك من الوجود باتصال منها

_: فهمت الأمر شكرا لك

_: على الرحب والسعة أتمنى أن تستطيع فعل شيء...

ومن ثم توجه جود الى الجامعة وجميع ما يشغل باله هو تلك الدار وكيف سيجد حلا لهذا الأمر...

في الدار

توجه الحارس الذي يقف عند مدخل الدار الى المديرة قائلا لها: ايتها المديرة هناك شاب شعرت بالريبة حياله اذ أنه تتبع الفتيات اليوم بعد خروجه من الدار

"كيف هي أوصافه" قالت ذلك بعدما استرجعت في ذاكرتها الأشخاص الذين قدموا الى الدار

_: شاب ذو بشرة بيضاء وشعر أسود أظن أنه يبلغ 22سنة

_: اه، يا لهذا الفتى لن يهدأ قبل أن ألقنه درسا، لم يبقى سوى هذا الشاب أن يضع رأسه برأسي، اذهب الى المشرفة فاطمة ودعها تأتي الي

فاطمة: ها قد أتيت ما الأمر

_: أتتني شكوى بخصوصك اليوم من أجل الطفلة نور أتريدي أن تسببي لي الفضيحة، كيف تسمحين لها بمقابلة أحد وما تزال أثار تعذيبك لها ظاهرة

_: إذا فعلتها وقالت لأحدهم لترى ما الذي سأفعله بها

_: لا ستدعينها وشأنها هذه الفترة لا أريد أن يأتي التفتيش ويجد دليلا، أخبريني هل تمتلكين رقم الشاب الذي يتردد اليها

_: لا ولكن أظن يمنى تمتلكه فانه يكون صديق صديقتها

_: أيا كان اذهبي اليها وأخبريها أن تخبره بضرورة مجيئه اليّ

بينما تسير جوا في حديقة الجامعة وكما هو المعروف عن الشبان أنهم لا يتركون فتاة بنفسها، تتبعها شاب وأصبح يرمي لها الكلام المسيء، الى حين مجيء الفارس الذي لازمها قرابة الشهر من المؤكد أن هذا الفارس البطل متوقع بالنسبة لكم من هو. فرّ ذلك المتسكع هاربا بعدما سمع كلاما من مهند...

"ما الذي تظن نفسك تفعله. لعلك الان تظن أنني سأعجب بك وأقول لك بطلي وما الى هذا" قالت ذلك جوا بانفعال وعصبية

مهند: لا جوا أنا كنت فقط..... لم تدعه يكمل قائلة له: اخرج من حياتي انا لا اريدك، لا اري د ك ألا تفهم ذلك؟ أنا أكرهك أنا أبغضك. لم ينبث بكلمة ولكن عيناه كانت تتكلم تروي مقدار الوجع الذي سببته كلماتها له، لم تعي جوا في تلك اللحظة ما سببته له، ما الذي كسرته بكلامها، لم تعي مقدار الحب الذي

يخبئه لها بين أضلعه في ذلك الجزء الأيسر منه الذي كسرته منذ قليل. ومن ثم ذهب دون أن يلتفت اليها عازما على تركها كما تشاء، لم تكن تدرك أن ذهابه ذلك لن يعقبه عودة ظنت أنه سيعود ولكن.... مضى اليوم الأول فالثاني مرّ أسبوع كامل ولم يأتي فيه مهند الى الجامعة ولم يجب على أي من اتصالاتها مما زاد من نقمتها على نفسها، ولكن لم يعد بإمكانها تحمل هذا العبأ والشوق فلجأت الى أحد أصدقاء مهند السابقين (جود)

جوا: مرحبا، أريد سؤالك عن شيء هل تكلم مهند

جود: لا مضى زمن طويل على محادثتي له، قولي هل فعلك لك شيئا مجددا

استاءت جوا من كلامه فأدركت الان ما سببته لمهند وكيف ابتعد عنه رفاقه وأخذ الجميع عنه انطباعا سيئا وعلى الرغم من ذلك رغب وصالها...

جوا: لا لا لم يفعل شيء هل بإمكانك اعطائي عنوان بيته

جود: ولكن أخاف من ردة فعله

_: لا تقلق لن أخبره أنك من أعطيتني إياه

_: حسنا بيته في **********

لم تنتظر جوا دقيقة حتى، وذهبت مسرعة الى بيته لم يكن بيتا بل كان قصرا، ولأبعد قليلا عن المبالغة وأكون أكثر مصداقية، كان بيته عبارة عن مزرعة يحيطها العديد من الأشجار

ويطوقها الحراس من كل حدب وذلك لضرورات أمنية فكما ذكرت سابقا أن والد مهند يشغل منصبا رفيعا في الدولة...

الحارس: ماذا تريدين يا أنسة

جوا: أريد مقابلة مهند

_: هل لديك موعد مسبق معه

_: لا فأنا صديقته في الجامعة وأردت الاطمئنان عليه

_: عذرا لا يمكنني السماح لك بالدخول والان عليك الذهاب

_: لن اذهب قبل رؤيته. وأصبحت تصرخ بأعلى صوتها مهند أنا جوا ها قد جئت اليك

خرجت والدة مهند على صراخها، قائلة: ما الذي يجري هنا

جوا: سيدتي اريد رؤية مهند انا صديقته والحارس لا يدعني

الأم: حسنا عزيزتي تفضلي

_: شكرا لذوقك سيدتي

وقبل دخولها أخرجت لسانها بوجه الحارس لتستفزه، وذلك للسماح لها بالدخول رغما عنه، طفولية كثيرا...

تركت والدة مهند جوا في غرفة كبيرة امتلأت بالتحف الفنية الباهظة الثمن، إضافة الى ثرية كبيرة تجعل من يراها يفتح فيهه لشدة بريقها وجمالها، وجوا بعد رؤيتها للغرفة آثرت أن تبقى مكانها لئلا تتسبب بكسر شيء عن غير قصد منها، وبعد مضي دقائق دخل مهند الغرفة

مهند: جوا!، توقعت مجيء أي صديقة سواك، ماذا تريدين

" أردت الاطمئنان عليك فقط" بنبرة حزينة، وقد أحنت رأسها كأنما أصيبت بخيبة أمل

_: ها قد رأيتني ها أنا في أحسن حال(بجفاء)

_: لكن.... حسنا أدرك سبب تصرفك الحالي، هل يمكن أن نذهب سويا الى مكان مرتفع كجبل أو لا أعرف مكان مريح وكن أفضل مني وتكرم عليّ بأن تقبل سأجعلك تغفر لي ما فعلته، أعدك

_: حسنا انتظريني لأغير ملابسي

ومن ثم نفذ رغبتها في الذهاب الى جبل، فجلسا على قمته يتطلعان المناظر من الأعلى، السماء الصافية، الأشجار والمدينة الكبيرة التي تعج بالصخب كيف تبدو هادئة مسالمة من هنا..

جوا: أتعلم كان حلما لي أن آتي الى هنا

"أتطلقين على هذا حلم، شيء بهذه البساطة" قال ذلك وهو يشكك في مصداقية كلامها، ويتأمل تعابير وجهها

_: نعم حلم لا تستخف بذلك أنت ولدت في نعيم لم تعلم شيء عن العذاب، الألم، الوحدة ما تطلبه يصبح أمامك..

لم يقل أي شيء ولعله أدرك أن عليه أن يكون مستمع جيد الان لا متحدث...

أردفت قائلة: هل تخيلت يوما أن توجد من دون أب تحمل اسمه او ام تعتني بك أن توجد هكذا وكأنك خلقت من العدم ومن ثم تعامل بأسوأ معاملة وبأكثرها قساوة على أيدي أشباه بشر سقطت الدموع من عينيها رغما عنها حاولت اخفاءها والتخلص منها الا أنها ازدادت ومن ثم أكملت كلامها: أتعلم هذه المرة الأولى التي أبكي بها أمام شخص منذ أن عاهدت نفسي بعدم البكاء والضعف...

شعور الأمان الذي شعرت به كان بمثابة الرعد الذي يأذن للغيوم بأن تخرج حمولتها ...

مهند بعطف وهدوء: أكملي انني أصغي لك بقلبي قبل أذناي

_: كنت في كل نجاح لي أو فشل أكتب الى أبواي الخياليين نعم صنعت لنفسي أبوان خياليين بما أن والداي تخليا عني، أتعلم لعلي وليدة علاقة غير مشروعة لعل أبي اغتصب أمي أو لعلهما كانا فقيرين فلم يشاءا أن أعيش بيأس أو فقر، ولا يعلمان بأي وضع جعلاني أعيش أكرهما رغم حاجتي لهما، لا أعلم كيف لإنسان أن يكون بإهمال والداي إذا كانا لا يريدانني لم يتكفلون بإنجابي. هذا الكلام الذي كان يدور في رأسي طيلة العشرين عاما التي مضت. بعد ذلك كله وبعد معاناتي ووحدتي ظهرت أنت دخلت حياتي أضفت لها لونا جديدا، في بداية ظهورك وحين غرزت أسناني بيدك كان رد فعل لطفلة تعجز عن فعل شيء غير ذلك كنت استفزازيا حينها ومن ثم أصبح امرك يهمني لذا لفت انتباهي تقربك من صديقي، كنت معجبة

بك أيها الأحمق حتى بعد موقفك التهديدي لي ظننت أننا سنصبح أصدقاء في النهاية ولكنك عدت وأشعلت حربا بيني وبينك عندها حقا كرهتك شعرت كم أنك شخص سيء الا أنك تمكنت من جعلي أعجب بك من جديد، أحببت اهتمامك بي ملاحقتك لي أرضت غروري، لم أكتشف أني معجبة بك الا عند فقدي لك نعم فنحن لا نشعر بالأشياء سوى عند فقدنا لها شعرت كم أنني متعلقة برؤيتك وكم يسرني ملاحقتك لي

_: ولكن كيف هذا. وماذا عن كلامك القاسي عندما أبعدت عنك ذلك المتسكع

_: لم يكن سوى كلام من فتاة بلهاء، يدافع أحد من أجلها للمرة الأولى فكم وكم تعرضت لمواقف مشابهة لذلك الموقف، ولكن لم يكن أحد بجانبي، فأصدرت هذا الكلام لأنني اعتبرتك انتهكت عالمي الذي لم يدخله أحد مسبقا. أرجو أن تغفر لي وشعرت كم أنني أذيتك، حقا اعذرني، حقا أنا مدينة لك

_: أقبل اعتذارك إذا قبلت أن تعطي لعلاقتنا فرصة فإنني وعلى الرغم من تصرفاتك راغب بك ومتمسك بك...

_: كم أنك مكار استغليت الفرصة (وضحكا معا). ليس لدي مشكلة يا صديقي (بنوع من الاستفزاز)

_: لما لا تقولين أخي لتكملي استفزازك عزيزتي (وتعالت أصوات ضحكهما). جوا لا أريد أن أفسد اللحظة ولكن أين تسكنين الان وأين كنت تعيشين سابقا من يتكفل بتكاليف تعليمك

_: توقعت أن تسأل عن هذا، الان أعيش برفقة احدى صديقاتي في منزل أجرة، أعمل بعد الجامعة في متجر، وفي أوقات متفرقة أعطي دروسا خصوصية أوفر مصروفاتي من خلال ذلك، أما الجزء الذي يخص الفترة السابقة فقد كنت أعيش في دار لرعاية الأيتام ولن أستطيع وصف الليالي في ذلك الدار وكم كانت موحشة وقاسية لا أرغب في تذكرها...

_: أتعلمين أنك فتاة فريدة، رائعة، صاحبة إرادة قوية، وصلبة الى حد ما وأعطيك حقك في ذلك ولكن لا تخافي سأعمل على تليين طباعك وتحريك مشاعرك تلك التي خمدت منذ تعرضك للآلام أعدك بذلك...

"وأنا على ثقة بقدرتك على فعل هذا. دعنا الان نعود" وهي تنظر بتمعن في عينيه..

_: حسنا كما تريدين يا أميرتي

وبالطبع لم تستطع إخفاء ابتسامتها لكلمته الغزلية الرقيقة وأحنت رأسها وعلت وجنتاها الحمرة...

وبعد لقائهم هذا، سارعت جوا لإصلاح علاقاته بأصدقائه التي أفسدت بسبب سلوكه السيء اتجاهها وتمكنت خلال مدة قصيرة من اصلاحها، معيدة له بعضا من اعتباره وسمعته في الجامعة..

****

تلقى جود اتصالا من يمنى تؤكد عليه ضرورة المجيء للدار فإن المديرة تطلب مجيئه في الحال ولأسباب مجهولة. تعجب جود من الأمر ماذا عساها تريد منه ولشدة فضوله توجه فورا الى الدار الذي يشبه الملاجئ المهترئة، استقبلته المديرة بملامح ووضعية تختلف عن المرة السابقة، فقد بدت كرئيسة عصابة حيث تخلت عن قناعها الرحماني الذي لا تفارقه الابتسامة والذي تظهره للإعلام والناس، لتظهر وجهها الشرس المرعب...

"ما الذي تريده" قالت له ذلك وهي تخفض من نظارتها لتبقي عيناها تقابل عينيه دون أي حاجز، كما لجعله يشعر برهبة نظرتها وحدتها...

جود: ما أريده واضح وشرحته لك في المرة السابقة

_: شرحت لي وأنا بدوري استمعت للأمر وبحثت به بعد خروجك وتبين أن الطفلة تكذب، لكن الآن ماذا عن ذهابك وراء فتيات الدار

_: كيف تكذب، ومن ثم دهش عندما سمع بمعرفتها بتتبعه للفتيات لم يعلم ما يجيبها به

_: انظر أيها الفتى أدرك أنك في سن يتصف بالتهور ولكنك بدأت تتجاوز حدك فلا تجعل تهورك يودي بك، وان كنت لا تعلم من أنا فاذهب ودع الناس يحدثوك عني، واعتبر ذلك تهديد حصري من قبلي. فان رأيتك في هذا الدار او تتجول بجانبه أو تذهب لأي جهة حكومية وتشتكي بها عني فاني أؤكد لك أنك لن

تمتلك فرصة توديع أمك حتى، ولن يصيبني مكروه لعدم وجود أي اثبات او دليل بيدك، فكن حذرا عزيزي من أجلك، والان استدر الى الخلف ولا تعاود المجيء

وخرج جود من دون أن يلقي أي كلمة تخلى عن جنون الشباب في هذه اللحظة، وسادته الحكمة والرشد فقد أخبرته المدرّسة في السابق عن مكانة هذه المرأة وقدراتها....

عند عودته الى المنزل بحث في برنامج الفيس بوك عن صفحة هذه الدار لعله يستطيع اكتشاف شيء جديد، وجد العديد من الصور لفتيات من الدار يستطيع أي شخص رؤية الحزن والتعب اللذان يسيطران على أعينهم، دار في نفسه سؤال واحد أين المسؤولون والموجهون النفسيون عن هؤلاء الأطفال لما هذا الإهمال؟ لما؟

تخبطت نفسية جود كثيرا، شعر أنه عاجز عن تقديم أي مساعدة حفاظا على وجوده وسلامته، "وجدتها، وجدتها" قال ذلك وهو يكاد يقفز فرحا ومن ثم أسرع الى ارتداء ثيابه وتوجه الى الجامعة...

"صباح الخير جنتي، أو لنقل ضهر الخير" قال ذلك جود بعد مقابلته لجنى على احدى مقاعد حديقة الكلية

جنى (بمنتهى البرود): ضهر الخير جود

بدأ جفاؤها له يزعجه كثيرا مما دفعه لمواجهتها

جود: جنى ما أمرك تعلمين أنني أحبك، وأنت أيضا.. لما تتصرفين هكذا أخبريني

_: ومن أخبرك أنني أحبك! أنا لم أعد أثق بالحب، لا أريد أن أعيد تجربتي السابقة الفاشلة، في الحقيقة لم أعد أثق بأي شاب

صعق جود من كلام جنى حتى أنه بقي ينظر اليها بعدم تصديق فكيف لا تحبه وماذا عن عناقها السابق، ماذا عن احمرار وجنتيها عندما كانت تكلمه، ماذا عن تلعثمها في ردها على معايدته وعندها كانت لتخطأ وتقول له حبيبي كما في ظنه

كما لم يكن لدى جود أي معلومة بخصوص علاقتها السابقة..

" إذا لا تحبينني ولا تثقين باي شاب، حسنا الان وداعا لدي بعض الاعمال" قال ذلك جود بعصبية ومن ثم ذهب..

جنى لم تكن قاسية في الحقيقة ولكنها كانت تحاول أن تبعده عنها لئلا تصاب بمأساة جديدة. لتجد نفسها بعد حين في حرب ما بين قلبها وعقلها، عقلها الذي يرفض الحب ويؤكد أن علاقتها ستكون فاشلة ولا يوجد شاب يتمسك بفتاة كما حدث لها في علاقتها السابقة بحسين الذي كانت لتخطأ وتقول اسمه في عيد ميلادها عوضا عن جود فلم تكن لتتعثر وتقول حبيبي انما كانت لتقول حسين، وقلبها الذي بدأ يحب جود ويؤمن به....

في الليل

وصلت رسالة الى هاتف جنى من جود كتب فيها التالي:

جنتي

أحبك أحبك وأقولها جهرا لا أستطيع التخلي عنك، تمكنتِ مني أيتها الوغدة لا أتخيل حياتي دونك، لم أعترف في السابق بحبي لك علنا، وذلك لأنني أخاف تخييب آمالك، لم أرغب يوما بأن أعدك بشيء ومن ثم لا أستطيع تنفيذه، ولكن اليوم أدركت أنني لا أتقبل مستقبلي مالم تكوني به، جميع خططي، أحلامي قد شاركتك بها في خيالاتي قبل نومي، كيف الآن سأكمل وأنت خارجة من حياتي، أجد صعوبة في التنفس أتصدقي ذلك؟! كما أنني أشعر بالضعف على الرغم من قوتي، وعن أي قوة تراني أتكلم أتُرى تلك التي تسقط أمامك خانعة مستنجدة، لعلك ذهبت الى مشعوذة لتختلق سحرا يجعلني مجنونا بك، هائما، حالما...

أستاء حقا كلما تذكرت قولك لي بأنك لا تحبينني ولكني أثق بحدسي كثيرا والذي يقول ليست سوى كلمات قالتها وهي تمر بحالة من العصبية او تبدل في المزاج، أتعلمين ما يزعجني هو علاقتك السابقة التي لم تخبريني عنها شيء، والتي تثير غيرتي وأريح نفسي عند تذكري أنها ليست سوى علاقة سابقة...

أرجوك أعيدي التفكير بنا، نحن، أنا وأنت....

بينما كانت تقرأ رسالته تساقطت دموعها واحدة تلو الأخرى بتتابع من غير انقطاع. كلماته سيطرت على عواطفها، التمست الصدق في كل حرف صاغه، مما جعل كلماته تقتحم قلبها من دون أي صد أو دفع من قبلها، كانت عاجزة عن التفكير للحد الذي يجعلها تقول له وأنا أحبك أيضا دون وعي...

أصبحت جنى تكتب حينا ردا له وحينا تعيد حذفه الى ان استجمعت شجاعتها وبادرت بوصف حالتها له، مستعينة به أن يتفهمها قائلة له:

جود..

بداية لن أختبأ خلف حائط الكبرياء وانما سأكون صريحة معك، فور قراءتي لرسالتك لم أتمالك نفسي، دموعي تناثرت من غير إرادة، واستغرقت بعض الوقت لألملم نفسي، لن أنكر أن كلماتك لامست شغاف قلبي، وأنني وددت أن أبادلك أيضا المشاعر والكلمات، ولكن....

الحقيقة أني فقدت ثقتي بالحب، فقدت ثقتي بالشباب عموما أدركت أن علاقات الحب محكوم عليها بالفشل قبل بدأها عدا عن تلك التي في الروايات والأفلام. لم يكن يوما الحب مغازلات، أو كلمات. الحب أوسع من ذلك هو عالم آخر يتسع لفردين فقط، فردان متمسكان ببعضهما، يدركان أن عليهما التضحية أحيانا والبقاء دائما، يدركان أن حبهما أقوى من أن يهزمه سحابه صيف أو حتى رياح هائجة، يدركان أن الاستماع والحوار هو الحل الأمثل لحل أي مشكلة تعترضهما وليس الذهاب دون الالتفات حتى. أولئك النادرون من ينطبق عليهم مفهوم الحب الذي طرحته في السابق، ولكوني دخلت في علاقة مع شخص عديم الشخصية رضخ من دون أي مقاومة لقرار أمه المتجذر في العادات والتقاليد، والذي يعيب أن يتزوج الفتى من فتاة جمعه بها علاقة حب، لذلك لم يعد لي رغبة في أن

أدخل بعلاقة حب برفقة أي شاب، ولم أخبرك عن هذه العلاقة لأنها حقا لا تستحق، ولعلي أيضا سأسلم نفسي لأبي الذي يضع برأسه أن يزوجني لابن أخيه، ولكي لا أكون عديمة الشعور في نظرك، نعم شعرت وأشعر بمشاعر اتجاهك ولكن خوفي من وقوعي بخيبة جديدة يجعلني أوقف من تدفق هذه المشاعر أو حتى التصريح بها، أتمنى أن تتفهمني عزيزي..

بعد قراءته لرسالتها كتب لها:

جنتي التي لا أقبل أن تذرف من عينيها أي دمعة لأي سبب كان ولا سيما بسببي، يجعلني ذلك أستاء كثيرا، لذا أرجوك كفي عن البكاء. لعلي أستطيع تخيل مظهر عيناك وقد أضفى لمعان البكاء عليهما منظرا خلابا، لم أخبرك سابقا أنني أرى الحياة في عينيك يا خضرائي. ازداد اعجابي بك حين تكلمت عن الحب انتقيت أنسب الجمل التي تعبر عنه، أنا يا فاتنتي من أولئك النادرين ثقي بذلك لن أخيب ثقتك يوما لا تخلقي حواجز وهمية بيني وبينك، أعلم أنك تقدسين المشاعر والحب لذا لما لا تتشجعين وتخوضين معي هذه العلاقة، ألا يستحق الحب أن نتجرأ من أجله. لا تتخذي من علاقتك السابقة درسا حياتيا لم تكن سوى تجربة فاشلة لأنك لم تجيدي الاختيار، الحياة لا تتوقف عند شخص، العالم مليء بالسيئين وكذلك الطيبين المحبين المتمسكين بحبهم. لا يمكنني أن أصف لك مقدار الفرحة التي أصابتني عندما قرأت امتلاكك لمشاعر اتجاهي هذا الشيء الوحيد الذي كنت أنتظره، جددت من طاقتي، أنعشت حبي للحياة، والعزم على البقاء، وهزيمة أي مشكلة تعترضني

من دون يأس، الحب يزرع فينا الأمل والعزيمة، لذا دعي علاقتنا تسير كما يوجهها قلبانا او لنقل قلبنا، فقد كان قلبي متجزئا يبحث عن نصفه الآخر، الذي ذهب ومكث بداخلك فتواجدنا معا يعني اتحاد قلبينا ليصبحا قلبا واحدا مكتملا...

انبهرت جنى بكلماته، والتي لم يسبق لها أن تسمع مثلها، شيء بداخلها يجعلها توافق على الخوض في هذه العلاقة، فاستمعت لذلك الصوت، وأبقت القرار لينبع من احساسها دون عقلها...

****

بعد تخلص ليلاس من اياد، أسقطت جل اهتمامها لحل مشكلات زميلاتها ودعمهم نفسيا، كونها محبوبة من الجميع كما وأن لديها الماما فيما يخص الجانب النفسي. كان لهذا الاهتمام الفضل بمنحها سعادة من نوع أخر فكم هو جميل أن نشعر بوجود بصمة لنا في حياة الأشخاص حولنا ليس من باب التفضل عليهم انما من باب الإنجاز الذي حققناه إضافة لتجسدينا لمفهوم الإنسانية.

وبينما تجلس ليلاس على أحد مدرجات القاعة ناظرة الى الساعة التي تحيط يدها، منتظرة دخول الدكتور الذي طال تأخره عن المحاضرة، تقترب منها فتاة لتقول لها: هل بإمكاننا أن نتكلم سويا، كثيرا ما تناهى لمسامعي أنك تساعدين الفتيات في مشكلاتهن ويجدون لديك الراحة والاطمئنان..

ليلاس: نعم بالتأكيد لا مشكلة، فور خروجنا من القاعة نذهب الى مقصف الجامعة ونتحدث هناك بخصوص الأمر الذي يشغل عقلك

الفتاة: حسنا إذا، وها قد جاء الدكتور أخيرا..

(في المقصف)

الفتاة: لن أدخل بمقدمة لكيلا أضيع وقتك، في البداية أنا اسمي ميرا أحب الحياة كثيرا الا أنني أعاني من ازعاجات كثيرة تجعلني أبغض الحياة وأبغض نفسي

ليلاس: ما سبب هذه الازعاجات ومن الذي يتسبب لك بها

_: ألا ترين شكل جسدي؟ ألا تلاحظين كم أني بدينة؟

جميع من حولي يزعجونني

_: بلى أرى ولكن يلفتني مظهر خديك المليئين وعينيك البندقيتين بل ورموشك التي لم يسبق لي أن أرى بجمالهن..

في الحقيقة جميعنا ندرك عيوبنا، نقصنا، لا نحتاج لأحد أن يوضحها لنا، في العموم البشر يبحثون عن العيوب بمن حولهم يرفضون فكرة أن يكون الشخص كاملا، يكرهون أن يجدوا أحدا أفضل منهم، تحكمهم الأنانية. بإمكاننا أن نصمت عند رؤيتنا لعيب في غيرنا، وليبقى في أذهانكم لا يوجد مزاح فيما يخص هذا الموضوع، فوراء كل كلمة جرح ستتسببون به وزعزعة في ثقة الشخص بنفسه، لا تدركون ما الذي بإمكانها أن تفعله الكلمة، ولا أعلم كيف بإمكانكم النوم بعد اساءتكم....

أكملت ليلاس كلامها قائلة: أريد سؤالك عن أمر ما سبب هذه البدانة، لأنني أدرك أن هناك بعض الأمراض تتسبب بحدوث البدانة

_: في الحقيقة السبب أنني مصابة بالسكري، وكلما عزمت على أن أنقص من وزني، اعود بدينة ويعود ذلك للإبر التي يتوجب عليّ أخذها

_: اذا عزيزتي عليك أن تحبي جسدك، عليك أن تتصالحي معه أن تدركي مواطن الجمال بك، أن تجعلي من بدانتك شيئا جميلا وألا يكون الأمر بالنسبة لك مدعاة للخجل، جميع من ينتقدونك لم يكنوا لك المحبة، تأكدي من يحبك سيحب بدانتك ولو كانت قبيحة وهي ليست كذلك انما هي جميلة وتضفي على ملامحك رونقا مختلفا، دعي ثقتك بذاتك تكون عالية، ليكن ردك على جميع من ينتقدونك: أنا أحب شكلي هذا، وأرجو ألا تتدخلوا في ما لا يعنيكم، صدقيني ستكسرين بذلك غرورهم المصطنع، لأنه وببساطة يا عزيزتي لا يوجد شخص كامل الا أن عيوبه قد تكون مخفيه، ولكن تأكدي ما ان تتعمقين به ستكتشفينها..

اسعي دوما لتكوني مميزة، التميز لا يكون بالجسد الممشوق المتناسق، بل تميزك قد يكون بنظرتك الإيجابية، بأخلاقك بطريقة كلامك، بمدى ثقافتك، بحسك الفكاهي، بعفويتك، بتفوقك هناك الكثير من الأمور التي قد تجعلك مميزة ومحبوبة، ولكن من الضروري في البداية أن تحبي نفسك. أتمنى أن أكون استطعت مساعدتك.....

لا تقلل من قيمة الكلمة، فالكلام يغير بنا الكثير. كلمة جميلة قادرة على رفعنا الى أعالي السماء، كما ولكلمة سيئة القدرة على أن تودي بنا الى الجحيم، وإنني أجد أن انتقاء الكلمات فن لا يبدع به سوى أصحاب القلوب الرقيقة البيضاء، الذين يدركون تأثير الكلمات في النفوس...

****

بينما تجلس جنى برفقة جود، منتظران موعد محاضرتهما أصابها اعياء شديد وأوجاع في مختلف أطرافها..

جود: جنى أخبريني ما الأمر ما بك، هيا لنذهب الى الطبيب

_: لا شيء لا تقلق، بعد قليل أتعافى لا أريد الذهاب

_: حسنا كما تريدين، أعلم أنه لا فائدة من كلامي إذا كنت رافضة لشيء لذا لم أتعب نفسي باستمالتك للذهاب، ولكن سأجلب لك شيء ساخن علّه يقلل ألمك ولا أقبل أي اعتراض

ابتسم ثغرها وهزت رأسها إيجابا. عاد جود وبيده الكوب الذي يتطاير منه البخار، قائلا لها بحماس: أظن أن علاقة صداقة جمعت بين جوا ومهند أخيرا، رأيتهم عند ذهابي ودعوتهم للانضمام لنا

_: لا عزيزي يبدو لي أن علاقة حب تجمعهم، ألم تلاحظ نظراتهما بل وابتسامتهما التي لا تفارقهما عندما يكونان سويا

_: من كان يتصور ذلك! كم أنك شديدة الملاحظة، والان لنغير كلامنا فقد جاءا

_: أنا ذاهبة فموعد محاضرتي قد ابتدأ، الى اللقاء عزيزي

مهند: الى أين ذهبت جنى

جود: الى محاضرتها اريدك بأمر ضروري

جوا: إذا أنا ذاهبة، لتتحدثا كما تشاءا

جود: لا لا ابقي لا مشكلة، فأريد أن أنصت لرأيك

مهند: هيا أخبرنا إذا

أخبرهم جود عن حادثة نور، وعن الذي تعرض له من قبل مديرة الدار، لاحظ الاثنان بكاء جوا، لم يدركا السبب الفعلي لبكائها الى حين لملمت نفسها وقالت: أنا كنت في تلك الدار وأعلم جيدا ما الذي يحدث بداخلها. صعق جود مما سمع فلم يكن يعلم أن جوا يتيمة أو أي شيء عن ذلك، كما أن مهند لم يحتمل أن جوا كانت تعيش في مكان مثله، اعتصر قلبه الحزن والوجع. جود: أنا أنا لم أكن أعلم، ولماذا لم تفعلوا أي شيء لما لم تخبري أحدا

جوا: عزيزي تقدمت شكاوى كثيرة ولكن في كل مرة عند مجيء اللجنة للكشف عن أعراض العنف على أجساد الأطفال لا يجدون شيء، ويعود السبب أن المشرفات يضعن مراهم خافية على الأماكن التي بقيت واضحة عليها آثار الضرب مما يجعل اللجنة لا تجد دليل ملموس يدين أي شخص فتذهب ويبقى الحزن والألم ملازمين لأطفال الدار دون أي بصيص أمل للخلاص..

تنهدت جوا ثم أكملت: هناك قصص عديدة لا يمكنني نسيانها لا يمكنني نسيان الصالون الذي يبلغ قرابة 50 مترا، والذي كانت تدعنا مشرفتنا ننظفه في منتصف الشتاء بالماء الشديد البرودة وهي تصرخ في وجوهنا غير مبالية بأيدينا التي تشققت، لا يمكنني نسيان صديقتي التي لم يبقى مكان في جسدها الا تعرضت للأذى من خلاله، وعندما جاءت أمها وذهبت للمديرة لتريها أعراض التعذيب، اكتفت المديرة بقطع راتب المشرفة لمدة شهر وأغلقت القصة كما المعتاد، وعندما تكون المشرفة مزعوجة من الفتيات لا تدعهن يرين أمهاتهن، وتعود الأمهات مكسورات الخاطر، كان الظلم هو الوحيد المسيطر على تلك الدار..

مهند: لا يمكنني التصديق أي قلب يمتلكون، من يفعل ذلك بطفل، أين الوزارات، أين العدل، بل أيضا أين هم من قول الله تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر)

جوا: يظاهرون أنفسهم على أنهم متمسكون بالدين، والكثير منهن راهبات وآنسات في الجوامع، الا أن جميع الأديان قد تبرأت منهن ومن أفعالهن...

جود: أنا فكرت كثيرا في هذا الأمر، ووجدت حلا يستدعي أن تساعدني به يا مهند لذلك طلبت مجيئك

مهند: قل لي أي شيء سأفعله

جود: حسنا، بما أن والدك مسؤول كبير بإمكانه مساعدتهن

مهند: كيف يمكنه ذلك؟

جود: يوظف بعض الجواسيس داخل الدار، وهؤلاء الجواسيس سيكون معهم الات تسجيل وكاميرات لرصد الأحداث، ومن ثم تقدم الدلائل فلا يعود لمديرة الدار أي سلطة أمام الدلائل ولاسيما ان قمنا بنشرها على صفحات الانترنت، فستصبح قضية رأي عام ولن تغلق القصية....

أخذ مهند ينظر بعيدا وهو يفكر في كلام جود ومن ثم نطق قائلا: سأفعل ما بوسعي لأقنع والدي ولكن لا أضمن لك موافقته

جود: حسنا لا بأس المهم ان تحاول

بعد قليل تتراءى أمامهم صديقة جنى وهي تركض بجنون إليهم

سيطر الرعب والخوف على جود، وتمكن اللون الأصفر أن يحل محل اللون الأسمر الذي استوطن بشرته فيما سبق....

صديقة جنى: جود الحق جنى لا أعلم ما الذي حل بها، لقد سقطت أرضا. انتفض جود من مكانه وكالفهد توجه الى جنى

لم يعلم ما تلك المشاعر التي اختلجته، لعلها مشاعر خوف وهلع من فكرة فقدانها او حتى خسارتها، هدأت نفسه عندما رأى صديقاتها بجانبها يطعمنها وقد عاد وعيها...

بفرح قد قال: الحمد لله تلت كلماته تنهيدة قد سمعها جميع من في القاعة

لتقول احدى صديقاتها: ألهذا الحد تحبها

قال وهو يشير الى قلبه بيده ويتأمل جنى: جنى ملكة هذا القلب مستوطنة به الى الحد الذي لا يمكن تخيله، هي الأوكسجين الذي يبقيني في هذا الوجود، لا يوجد جملة تعبر عن مقدار حبي لهذه الأميرة الجالسة بجانبك...

"إذا لماذا لم تخطبها" والغيرة تكاد تتمكن منها

نكزتها جنى بمرفقها، لكن جود كان ذكيا وقد ألقى لها جوابا يجعلها تقف عند حدها عندما قال لها: أعتقد أن هذا الأمر لا يعنيك، وعلى جميع الأحوال قريبا ستصبح خطيبتي فلا يمكنني اكمال حياتي دونها. ثم رحلت جنى بصحبته..

جنى: انا متأسفة عمّا بدر من صديقتي

_: لا عزيزتي لم أنزعج ونحن حقا أصبح علينا أن نعلن خطوبتنا، الا إذا كان الخاطب لا يعجبك

ضحكت جنى ومن ثم وجهت نظرها للأعلى وقالت: في الحقيقة الخاطب لا يعجبني، صمتت لبرهة لتجعل جود يتوتر قليلا ومن ثم أكملت، لا يعجبني فقط بل أنا عاشقة له مغرمة به وبكلامه الذي يجعلني أسعد فتاة في العالم بأسره....

_: الان دعينا من كل هذا وأخبريني ما سبب اغمائك

_: قد يكون السبب أنني لم أأكل أي شيء صباحا، لا تبدأ بالصراخ لم تشتهي نفسي الطعام، إني أعاني من انعدام شهية منذ أيام لعلي سأصاب بزكام..

_: حسنا إذا ولكن إذا استمرت حالتك هكذا لابد من الذهاب للطبيب..

****

أخبر مهند والده بأمر الدار، في البداية قد تمصل والده من عمل أي شيء يخص ذلك، الا ان إصرار مهند جعله يرضخ لرغبات ابنه الوحيد، جرت الخطة على المسار الذي خطط له جود حيث تم توظيف عاملات ضمن الدار، ليعملوا على مراقبة الوضع وتسجيل أي انتهاك بحق الطفولة، وتم تسجيل أصوات بكاء الأطفال وتصوير تعذيب المشرفات للأطفال، وأخذت جميع الدلائل الى والد مهند والذي بدوره قد عرض الدلائل الى رئيسه والذي أخبره بضرورة إخفاء الدلائل وعدم البحث في أمر الدار مجددا...

مهند: أبي ما الذي حدث، هل سيقومون بإزالتهم من وظيفتهم والقيام بسجنهم

والد مهند وهو يحمل حقيبته ويتوجه الى مكتبه قال له: لا أريد سماع أي شيء عن هذا الموضوع مجددا ونحن لا علاقة لنا بشيء يتعلق بتلك الدار، مفهوم؟

بصراخ وانفعال قال مهند: كيف؟ كيف ليس لنا علاقة والأطفال ما مصيرهم؟ الضرب حتى الموت، استلاب طفولتهم....

استدار والد مهند وبعصبية بالغة قال: لا أستطيع فعل شيء ألا تفهم؟

_: لكن كيف؟ هل رئيسك أيضا فاسد ويدعم تلك الشمطاء مديرة الدار؟

_: اخرس ولا تتفوه بأي كلمة بحقه

_: بالطبع عليّ أن أسكت والا ستضعني في السجن أو في مكان لا يعرف به أحد عني شيئا كما تتعاملون مع جميع الأشخاص..

_: أنت ابني ولا أسمح لاحد أن يقترب منك، وليكن بعلمك لست وحشا

وانصرف ذاهبا الى مكتبه، والأفكار تتزاحم بعقل مهند تذكر كلام جود عن نشر الدلائل على الانترنت، ولكن عليه إيجاد المكان الذي خبأ به والده الدلائل في البداية، وبعد تفكير بسيط استطاع مهند تخمين المكان، ويعود تخمينه لطبع والده بأن يضع الأشياء المهمة في الخزنة، فانتظر ليخرج أباه من المكتب ليدخل اليه ويأخذ الدلائل، كونه أيضا يعلم كلمة السر الخاصة بالخزنة، أخذ تلك الدلائل، ونسخها على حاسبه الشخصي ولضمان عدم كشف المسرب لتلك المعلومات والقبض عليه طلب من صديق له خارج البلاد نشر هذه الدلائل ...

****

استمرت حالة جنى المرضية من عدم شهية وقلة في الطعام وغثيان والتي سببت نحول واضح في جسدها، إضافة الى ألم في جميع أرجاء عظام جسدها، في البداية قد صمتت جنى ولم تخبر عائلتها بما يجري معها، الا أن كمية طعامها ودوارها في

بعض الأحيان أربك أمها مما جعلها تأخذها الى الطبيب بعد مشادة كلامية بينهما...

عمل الطبيب على فحص جنى وسؤالها عن الأعراض التي تشعر بها، لم ينبث الطبيب بكلمة فقط طلب تحليل للدم

جنى: ما الموضوع أيها الطبيب لما لم تتكلم شيء

الطبيب: تحليلين في البداية بعدها نتكلم

بانفعال وخوف قالت جنى: هل تشك بأني مصابة بمرض خطير مثلا؟؟؟

_: لا أستطيع الجزم ولكن الأعراض تجعلني أشك بمرض معين..

والدة جنى: أخبرنا أيها الطبيب ما الأمر، جعلت قلبي يسقط

الطبيب: سيدتي هل هناك أحد من العائلة مصاب بالورم النقوي المتعدد

(بعدم تصديق وبدهشة)، جنى: ما، ما الذي تعنيه أنا مصابه بورم؟ هل سأموت؟

هكذا نحن البشر دوما نفكر في الأسوء حالا، نظرتنا سوداوية

تشاؤمية، تجذب لنا الطاقة السلبية، وتجعلها مسيطرة على حياتنا وأعمالنا ومستقبلنا...

طبيب: هدئي من روعك قد تكون شكوكي غير صحيحة ولكن عليّ معرفة هل من أحد من العائلة مصاب به

والدتها وهي تبكي: لا لا أحد

جنى: قل لي ما هذا المرض هل يوجد له علاج

طبيب: نعم بالتأكيد له علاج، لا تهولي الأمر، ودعينا ننتظر التحليل، ومن ثم سأسحب عينة من نخاع العظم لديك لإخضاعها للفحص المختبري للتأكد من حالتك

ذهبت جنى برفقة أمها لأقرب مركز تحاليل، أخبروها بأنه لا يمكنها أخذ النتيجة قبل مرور 24 ساعة، مما زاد في توترها. عند عودتها بحثت في هذا المرض وقرأت خبرا أنه قد يؤدي للموت، لم تتمالك نفسها، وأصبحت الدموع تشق طريقها من عينيها كالشلالات، أمضت الليل مشوشة، ضائعة، خائفة، لم تمتلك الجرأة لتخبر أحدا، ولعلها لم ترد أن ترى في عيون الأخرين شفقة عليها، اعتادت أن تظهر للأخرين بكامل قوتها حتى أمام جود، جود الذي لم يتوقف عن الاتصال بها للحظة وكأنه يشعر بحالها وأنها بحاجة الى شخص بجانبها، لعله هذا هو ما يسمونه بالاتصال الروحي، ولعله أيضا أعظم مرحلة يصل اليها متحابان، الا أن كبرياءها منعها من اظهار ضعفها لشخص لذا لم تجب على أي من اتصالاته....

(في حديقة الجامعة)

بينما تجلس جنى على أحد المقاعد، شاردة، يغطي أسفل عينيها سواد، كما أن عينيها منتفختان لشدة البكاء، جاء جود اليها وهو غاضب، الا ان غضبه تلاشى عندما رأى وجهها وحل محل غضبه قلق شديد، أصبح يوجه مئة سؤال في ثانية واحدة لتجيبه

جنى ببرود وعدم مبالاة: كل شيء على ما يرام لا أريد التحدث الان، جود بعصبيه بالغة: كيف كل شيء على ما يرام، ألم تنظري لنفسك في المرآة؟ علامات البكاء والسهر بادية على وجهك بوضوح، عدا أنك لم تقومي بالرد على أي من اتصالاتي، لم تنبث جنى بكلمة مما زاد عصبيته أمسك عضديها بقوة قائلا لها: ما الأمر أخبريني، لم تتمالك نفسها، انهيارها النفسي إضافة الى القسوة التي خرجت منه، جعلاها تبكي رغما عنها، الا ان عصبيته ذهبت مع الريح عندما رأى دموعها، في الحقيقة لم تنبع هذه العصبية والقسوة الا لشدة حبه لها وخوفه عليها لم يتقصد احزانها فمحال أن يقدم على ذلك محب وعاشق مثله...

جود: جنى ما رأيك أن نخرج من الجامعة يبدو أن هناك أمرا جديا يحدث معك ويجب أن تخبريني به، فبالطبع لن أتركك بهذه الحالة. لم تتكلم ولكن حركت رأسها إيجابا...

ذهبا الى المقهى القريب من الكلية، حاول جود أن يبدي لطفا ومودة شديدين، علها تخبره الذي يحدث معها...

جنى: كف عن ذلك، تريد أن تعرف أمري، حسنا سأخبرك أنتظر تحليلا سيحدد موعد موتي، هل علمت الآن ما أمري

ضحك جود مستهزئا من كلامها، فكلامها بالنسبة اليه شيء لا يصدق ولا بد أنه من اختلاقها، فقال لها: لا داعي لقول شيء كهذا لتري كمية تمسكي بك أو حبي لك

جنى: أي هراء هذا الذي تتفوه به، أنت تعلم أنني منذ مدة ليست ببعيدة أعاني الكثير من الأعراض المرضية، مما أقلق أهلي فذهبت وأمي الى الطبيب الذي شك بأنني مصابة بالورم النقوي المتعدد، فطلب تحليلا عليّ الانتظار للمساء للحصول على النتيجة..

أصاب جود الذعر والخوف فأصبح يسألها أكثر عن هذا المرض، وهي تعمل على الإجابة عليه بدقة فمحرك البحث لم يهدأ ليلا لكثرة بحثها عنه، الا أن عقل جود لم يحتمل فكرة أن جنى قد تفارق الحياة، حتى أنه أصبح يطمئنها أو لعله يطمئن نفسه بأن هذا المرض لم يصبها وانما الطبيب قد أخطأ بتشخيص الحالة ليس الا...

انتشرت الدلائل على مواقع التواصل كافة، وأصبح الأمر رأيا عاما، يطالب فيه الناس من جميع أرجاء لبلاد بمحاسبة القائمين على الدار وتمثيلهم أمام القضاء، وعندما وصل الخبر لوالد مهند انتفض فزعا، عالما بالمصير الذي سيلقاه بعد انتشار الدلائل، فبالطبع لن يتركوه حيا، ولكونه أبا، أول ما تبادر الى ذهنه مهند وأن عليه تهريبه الى خارج البلاد قبل أن يصل اليه رؤساؤه

توجه الى غرفة مهند مسرعا وهو يجري اتصالاته...

والد مهند: هيا وضّب أغراضك ستسافر الى خارج البلاد

مهند: كيف؟ ماذا؟ لماذا؟

_: دعنا من التفاصيل، ونفذ ما أقوله عصيت أمري أول مرة عندما نشرت الدلائل ولم أنبث بحرف، ولكن الان لا يوجد مكان للعصيان، سيأخذك شخص يسمى آدم ليخرجك الى تركيا

_: ولكن لما؟؟

_: لكيلا تقتل أيها الأحمق، هل ظننت أنك إذا قمت بنشرها من حساب غير حسابك لن يعلموا أننا المسربون، الدلائل قد أريتهم إياها ومنعوني من اظهارها للعامة، وأنت تأتي بكل ذكاء وتنشرها، وتظن أن نبقى أنا وأنت بدون حساب..

_: لكن ماذا عنك إذا؟

والده وهو يوضب له الحقيبة، قال له: لا تقلق عليّ المهم سلامتك الان..

انطلق مهند برفقة آدم وقبل خروجه عانقه والده عناقا لم يسبق له بمثله، شعر بكمية حب والده له ليقول له قبل ذهابه: أنت لست وحشا أنت أحن أب في العالم، أنا أحبك جدا، تعال واذهب معي لا تبقى هنا بمفردك

والد مهند: لا أستطيع، فبقائي هنا يجعلهم يصرفون النظر عنك على الأقل لحين وصولك لتركيا، وأنا أحبك، هيا اذهب...

****

عندما حانت الساعة السابعة ليلا توجهت جنى الى مركز التحاليل، بصحبة جود الذي لم يفارقها وأصر أن يذهب معها لمعرفة نتيجة التحليل. ولكن في المخبر لم يخبروا جنى ان

كانت مصابة أم لا، وانما أشاروا عليها بمراجعة طبيبها، مما زاد من خوفها وهلعها، توجهت الى الطبيب من دون موعد وأصبحت تفتعل شجارا مع السكرتيرة في العيادة لتدعها تدخل

خرج الطبيب على أصوات الشجار وبانفعال شديد قال: ما الذي يجري هنا؟

السكرتيرة: هذه الانسة تريد الدخول من دون موعد

جنى وهي تبكي تقدمت الى الطبيب قائلة له: ارجوك انظر الى تحاليلي وأخبرني بالنتيجة

الطبيب وهو ينظر الى التحاليل: هيا ادخلي لنتحدث داخلا

تسارعت نبضات قلب جنى شعرت أنه سيغمى عليها من فرط التوتر، كما أن جود شعر بحالتها فوضع يده على كتفها قائلا لها: حسنا اهدأي لا تخافي، أنا معك وسأبقى. رفعت جنى نظرها اليه وهي تبتسم له بحزن بادٍ على ملامح وجهها

الطبيب: في البداية أريد منك أن تتحلي بالهدوء، وأريد لفت نظرك أن هذا المرض قابل للعلاج، ومن الممكن أن تكون التحاليل خاطئة لذا من أجل أن نتأكد سنأخذ عينة من نخاع العظم لديك..

لم تكن صدمة جنى بالغة لأنها كانت شبه متيقنة من اصابتها بالمرض، الا أن جود أتاه الخبر كالصاعقة لم يتخيل أن يصيبها لم يتخيل أن يصيب حبيبته، شريكة حياته..

نحن هكذا نبقى نبعد المرض والموت عن أحبائنا لأننا لا نحتمل أن نراهم بهذا الموضع، نخاف خسارتهم، نخشى عذابهم. ولكن ما إن تصبح الحقيقة جلية أمامنا ستتوقف كل تخيلاتنا، ستعود الدنيا بقساوتها لتظهر أمامنا، سنرى أن اللون الأسود ملازم لنا سنشعر بأن الحزن ترك جميع البشر والتصق بنا...

جنى بعد تلقيها للخبر كانت أهدئ مما سبق لعلها لم تجد تعبيرا يخدم هذا الموقف الذي تمر به فالتزمت الصمت، ليقطع صمتها في النهاية الطبيب حين قال: هل نأخذ العينة اليوم أم غدا

جنى: ليس مهما، ولكن يفضل اليوم على الرغم من أنني متيقنة.

وأخذ العينة من نخاعها وأخبرها بأن نتيجة تحتاج الى يومين.

في طريق العودة كان الظلام قد أحكم قبضته، عدا عن نور يشع من القمر تضاء به الطرقات، نسيم بارد لطيف، وغيوم تملأ السماء تنبأ بهطول المطر، كانت أجواء غاية في الروعة الا أن تفكير جنى وجود كان خارجا عن كل ذلك بل لعلهما لم يلحظا كل هذا..

بعد صمت طويل قال جود: يقلقني صمتك لم أعتدك هكذا

جنى: وأنا لم أعتد أن أصاب بمرض سيتسبب بموتي

_: جنى ما بك لما تتحدثين بسوداوية أين هي روحك الجميلة أين تفاؤلك، وحبك للحياة، بل أيضا أين هو ايمانك بالله وقدرته

_: روحي تتهيأ للخروج، أما عن ايماني بالله فهو حاضر موجود وأكبر دليل عليه صمتي الان

بصراخ كبير وكأنه يخرج كل ما به من غضب بوجهها: ما بك جنى؟ لما تتعاملين بهذا البرود مع الموضوع!

لترد عليه جنى بعصبية أكبر: ما الذي تريدني فعله، أن أنهار الان أمامك أم ماذا؟ هل تظن أن الأمر بسيط بالنسبة لي ما الذي تعرفه عن معاناتي في الليلة السابقة، أو ما الذي أدراك ما الذي سأعانيه هذه الليلة، أنا في حالة انهيار احاول أن ألملم شتات نفسي أمامك، لئلا تراني ضعيفة، لا أحب أن أرى الشفقة علي في عين أي شخص ألا تفهم ذلك؟!

وانهارت باكية جالسة على الرصيف تخبئ وجهها بيديها وتبكي بحرقة، فلم تجد لنفسها مهربا من هذا الضغط سوى بالبكاء

جلس جود بجانبها على الرصيف مبعدا يديها عن وجهها قائلا لها: هل من الممكن أن أسمح لهاتين العينين اللتان أرى بهما الحياة أن يبكيا؟! ولكن اليوم تجاوزا سأسمح لهما، ولكن لأقل لك يجب عليهما أن تعداانني أنهما لن يبكيا بعد ذهابنا من هنا

لننتقل الى صاحبتهما جنتي لا أعلم لما تجهدين نفسك بأن تريني نفسك قوية هل تظنين ان رأيتك ضعيفة سأبتعد، ولكن حتما لا لن أبتعد ومشاركتك لي بضعفك لا يعني أنني سأشفق عليكي فلست شخصا عابرا انما أنا حبيبك وشريكك المستقبلي وخطيبك بعد قرابة الأسبوع، كدت أن أنسى اخبارك بأن عائلتي ستزوركم، ولكن الان سأكمل ما بدأته عندما تشاركيني يا عزيزتي فأنا سأعيد لك قوتك سيكون ضعفك سرا بيننا نتجاوزه سويا ليس لأحد منا من فضل على الأخر، بل انه يعتبر حقا بين

كل اثنين محبين، هذه المواقف هي التي تبرهن صدق الحب ومدى قوته، اعتبري مرضك اختبار لي، ولكن لأخبرك سأنجح بهذا الاختبار بدرجة ممتاز لذا لا داعي لأن تطيلي بالاختبار...

تبسمت جنى، وعيونها قد نضبت بسبب سحر كلامه، وليكتمل روعة هذا الطقس هطل المطر، مما جعل جنى تنظر الى السماء وتضحك قائلة لجود: لا أعلم ما سر المطر، لا أعلم كيف بإمكانه أن يبهجني، كيف باستطاعته اشعاري بالطمأنينة ترى هل يفعل ذلك مع جميع البشر؟! ومن ثم صمتت وأغلقت عينيها مستغيثة طالبة من الله أن يساعدها وأن يشفيها فهو القادر على كل شيء.

عند نزول المطر نشعر بأن أمنياتنا أقرب للتحقق فالذي أكرمنا بنزول المطر، لن يبخل علينا بتحقيق أمنياتنا ان كانت خيرا لنا...

****

عند فرار مهند لخارج البلاد، قد تم القبض على والده، ولم يعد أحد يعلم عنه شيء كما كان متوقعا، أما بشأن دار الايتام، فقد تم تقديم جميع المشرفات والمديرة للقضاء ومحاسبتهم أصولا، فلم يستطعن النجاة كما في كل مرة، لأن الموضوع انتشر على نطاق واسع مرفقا بدلائل تدينهم. في الفترة الأخيرة لم تعد تستطيع جوا التواصل مع مهند، مما أثار قلقها وجعلها عاجزة عن النوم لليال، الى أن أتتها رسالة من رقم مجهول..

وكان مضمون الرسالة كالآتي:

جوا ألا يقال لكل شخص من اسمه نصيب، ولكن الامر بالنسبة لي لكل شخص من اسم حبيبه نصيب، أليس معنى جوا هو حرقة القلب، وقمة العشق، فأما عن العشق فأنت استملكتي جميع مشاعري، وعواطفي، فأصبحت لغيرك محرمة، وأما عن حرقة القلب فببعدي عنك حرق قلبي وأصبح رمادا، تتساءلين ما الذي حدث، أين ذهبت، أين أنا، لما ذهبت دون أي وداع أو حتى كلمة، لعلك كارهة لي الان، بل لعلك تستشيطين غضبا أتفهمك وأعد ذلك عتابا من محبّة، ولكن أجبرتني الظروف أن أترك البلاد بأسرع فرصة، وذلك بسبب قضية الدار لا أستطيع قول الكثير عن الموضوع. تتساءلين في نفسك لما لم أراسلك منذ وصولي، الا أنني كنت أعطي نفسي زمنا لكي أفكر بعقلانية وأضع قرارا بشأن علاقتنا، نعم علاقتنا التي لم تتم الشهرين! لعل القدر قد كان يقول لنا منذ البداية، أنتما لن تلتقيا، لن يكتب لكم البقاء معا، الا أننا عاندنا القدر لنجد الان أنفسنا معذبان مجبران على الافتراق ونحن متحابان، أتذكرين بدايتنا كم كنا نبغض بعضنا ليتنا بقينا كما كنا، ليتنا...

لعلك لا يمكنك تصور أنني أبكي وأنا أكتب هذه الرسالة فأنت اعتدت أن أكون قويا، مغرورا، الا أنني الان ضعيف وعاجز عن فعل أي شيء بشأننا سوى الابتعاد والرحيل، ستتساءلين لما علينا الافتراق، سأقول لك لأن مستقبلنا مجهول فأنا خارج البلاد ووضعي غير مستقر، وأنت عليك أن تكملي دراستك وتصبحي مهندسة مبدعة، كما وأنك بحاجة شخص بجانبك. لن

أستطيع أنا أن أكون الشخص الذي تحلمين به وتنتظرينه.
سامحيني عزيزتي، هذا القرار أفضل لك صدقيني

أحبي غيري والتفتي لنفسك يا حرقة قلبي...

بعد قراءتها لكلامه لم تدرك ما الذي يتفوه به، أعادت قراءة رسالته أكثر من مرة وفي كل مرة تنهار أكثر، في النهاية عملت على لملمة شتات نفسها، وبدأت تكتب له رسالة، لكنها كلما كتبت شيئا بادرت بإزالته، أصابتها حالة من الضياع والتردد كانت عاجزة عن صوغ أي جملة..

الا أنها استطاعت أخيرا أن تبعث الرسالة التالية:

كنت تقول إن الامر بالنسبة اليك (لكل شخص من اسم حبيبه نصيب) لعلي أيضا مثلك، أوليس معنى اسمك هو السيف القاطع وها أنت بكلامك قد صنعت سيفا قطعت به أنفاسي. لم تدرك مقدار أوجاعي لبعدك، والان عند عودتك للتكلم معي تأتي لتقول لي دعينا نفترق، نفترق! وما أسهل النطق بهذه الكلمة!

هل تتذكر في بدايتنا عندما تطفلت وأخذت الكتاب من يدي والذي كان بعنوان ((أحببتك أكثر مما ينبغي)) بداخله عبارة تقول (أحببتك أكثر مما ينبغي وأحببتني أقل مما أستحق) وكم أراها مناسبة لعلاقتي بك الان

أقدر موقفك البطولي بشأن الدار، ولعلي أيضا عاجزة عن مدحك كما يحق لك، ولكن لا أستطيع تفهم قرارك فيما يخصنا أنا على استعداد أنا أنتظرك، ومن قال لك أنك لست الشخص الذي أحلم به، وأما عن حاجتي لشخص فمحادثتك لي كافية

لما تخلق حواجز بيننا ليس لها أي داع؟ لما؟

أحبك، وسأبقى كذلك...

ليس هناك أشد من الحرب الداخلية، والتي تدور بين العقل والقلب حيث لا يمكنك أن ترجح الكفة لأي منهما، في المنتصف أنت تماما، غارق بأفكارك، تسيطر عليك مشاعرك، ولكن في الغالب أنت سترجح الكفة لعقلك لعدم ثقتك بمشاعرك، ولكون المشاعر لن تدعنا نتخذ القرار الصائب عادة...

وهذا الذي جرى مع مهند الذي عمل على دفن مشاعره وكبتها، وأطلق سراح عقله، جاعل إياه حر التصرف، مالكا جميع الصلاحيات..

فكان الرد على رسالة جوا كالتالي:

جوا لن أستطيع أن أكون أنانيا، فأنا حقا لا أعلم كيف سيمضي مستقبلي، ولن يمكنني حرمانك من حقك في أن تحبي شخصا ويحبك، ولأبقى أنا ذكرى جميلة في حياتك، لا أريد من مواقف قادمة أن تزعزع صورتي لديك فالقادم مجهول...

كوني بخير، والان الى الوداع...

ومن ثم أصبح رقم جوا في قائمة الحظر، لئلا تعاود المحاولة في تنحيته عن هذا القرار...

لعلها من أشد الليالي بالنسبة لكليهما، سيقول كثيرون لم تدم علاقتهما سوى الشهرين فكيف خلق هذا الحب كله، وليكون

ردي أن عمق الحب ومتانته لا يحدده زمن، وليست السنوات مقياسا للحب المتين الذي يجمع طرفين....

مضى اليومان وذهبت جنى لمعرفة النتيجة من الطبيب، الا أن النتيجة كانت مثلما توقعت هي في السابق. وبدأ الطبيب يشرح خطة العلاج كيف هو مقرر أن تسير

الطبيب: بعد شهور قليلة ستخضعين لعملية زراعة نخاع العظم ولكن في البداية علينا أن نقوم ببعض العلاجات، وقد نلجأ الى العلاج الكيميائي، من واجبي أن أخبرك ان العلاج الكيميائي قد يسبب لك العقم

انصدمت جنى من هول ما تبادر الى مسامعها: ك ي. كيف ما الذي تقوله؟ سأخسر فرصتي بالإنجاب أيضا ان بقيت على قيد الحياة، ولأمت ما هذا الذي أعايشه

جود كان مرافقا لها فقد تعهد لها بعدم الابتعاد عنها طوال فترة مرضها. أحنى جود نفسه وجلس أمام قدميها، وهو ينظر لها ويمسح دموعها التي تكاد لا تقف وهو يقول لها: لم يؤكد الطبيب ذلك، يقول قد نلجأ وقد لا نلجأ أيضا، ولو أصبحت عاقرة قد تطور العلم وهناك الكثير من الوسائل، وأنا معك لن أفارقك، صحتك هي الأساس، كلمات جود كانت مطمئنة لها بعض الشيء، الا أن حريقا بداخلها قد تأججت....

الأمومة ضرورة لكل أنثى، فحاجة الأنثى لها كحاجة أي كائن للشرب. منذ نعومة أظفارها تمارسها ان كان ذلك على اخوتها

الأصغر منها سنا أم على أي طفل تراه. فكيف يأتي شخص ويقول لها ستحرمين من ممارسة أمومتك على طفلك الخارج من رحمك، لعلها من أصعب المواقف التي قد تمر بها أي أنثى

ابتدأت أول جلسة للعلاج، وليمضي الوقت أخذ جود يفتح الأحاديث حديثا تلو الأخر

جود: جنى أتعلمين سيكون منزلنا أجمل منزل، غرفتنا سنطليها باللون الأزرق

جنى وهي تنظر نحو الأعلى وتقلب شفتها السفلية الى الخارج كما الأطفال: لا لا أريد أحب اللون الأحمر أنا

جود: حسنا كما تريدين تنجحين بإخضاعي لقرارتك بهذه الحركة الطفولية، أكاد أوقن أن ابنتنا ستكون نسخة عنك

انهمرت الدموع من عينيها، حينها قال جود في نفسه اللعنة كيف نسيت، وضع يده على كتفها قائلا لها: لا داعي للبكاء فأنت ستنجبين أجمل أطفال، وان لم يرزقنا الله أطفالا فلا مشكلة المهم أنك ستكونين بجانبي يا جنتي، ومعا سنتجاوز الأمر ليس عليك سوى أن تعودي كالسابق...

الا أن حالة جنى ساءت أكثر فأكثر، فبعد ما يقارب الجلستين من العلاج، لم يعد جسدها بتحمل، كما أن الطبيب تنبأ باحتمالية موتها في الجلسة الثالثة، كانت هي الوحيدة التي تعلم باحتمالية موتها، لطلبها بإخفاء الامر عن عائلتها وجود

أصبح الأمر منتهيا ولا يوجد أي بصيص أمل في نجاتها فكرت بأن عليها كتابة بعض الكلمات لتطفئ من اللهيب الذي سيشتعل في قلب جود عندما توافيها المنية فكتبت رسالة وطلبت من أختها الصغرى أن تعطيه إياها إذا أحدث أمر طارئ

لجين: ما هذه الورقة؟ وما الامر الذي من الممكن أن يحدث

لم تعلم جنى ما الذي عليها أن تجيب به أختها أتقول لها أنها ستموت أم ماذا، أطلقت العنان لدمعة أن تسيل على خدها من دون إرادة لتقول لها لجين بطفولية: إذا كنت تتصنعين البكاء لأجل ألا تخبريني بالأمر فلا داعي لذلك حسنا سأكف عن فضوليتي

مسحت جنى دمعتها وابتسمت مجبرة لا مخيرة..

راودت جنى مشاعر الندم، الندم على عدم إمضاء وقت أكثر مع عائلتها، مع أمها التي لم تتوقف دموعها عن الانهمار وكلما شعرت أن جنى تنظر اليها تظاهرت بالقوة وأن ريحا تلك التي جعلت دمعا من عينها يذرف

حانت الجلسة الا أن جود خرج ليجلب لها عصيرا، وبعد خروجه بلحظات ساءت حالتها كثيرا فأرادت قبل أن تموت أن ترى جود لأخر مرة فقالت بصوت هزيل متعب: اجلبوا لي جود، أريده، أريد رؤيته. وعند مجيئه نطقت جنى أخر كلمة قائلة له: أحبك، كان هو أخر شخص تراه قبل أن تغمض عيناها وتصعد روحها الى بارئها، اقترب منها، يداه لامست وجها للمرة الأولى، وأصبح يحاول ايقاظها موهما نفسه بأنها نائمة

ليس الا، تحت أصداء بكاء أمها ونحيبها، أصبح يقول بصوت مهزوم: انت وعدتني أن نبقى معا، أيعقل أن تذهبي قبل أن تري غرفتنا الحمراء كما طلبتي، هيا استيقظي أمامنا حياة طويلة بعد..

الا أن من تُأخذ روحه ليس من الممكن أن تعود...

كان جود في حالة يرثى لها بين تصديق وعدم تصديق خائر القوى، جالسا على الأرض مسندا ظهره للحائط يبكي ويبكي الى حين مجيء لجين وبيدها ورقة، أعطته إياها وقد أخبرته أن جنى تركتها له، أمسك الورقة بيدين مرتعشتين ومسح دموعه ليستطيع قراءة ما كُتب، وكان مضمونها كالاتي:

أنت أعظم شخص التقيت به في حياتي، وكم كنت أرغب أن أكمل معك، كم كنت أرغب في أن آوي اليك وأن نكون تحت سقف واحد وننجب أطفال يأخذون من صفاتنا وأشكالنا، كنت أرغب كثيرا بأن أنجب شابا عله يكون مثلك وتحظى به فتاة كما حظيت بك أنا، أحببتك حبا لا حدود له وكنت تستحقه بلا شك، ليتني أستطيع رد بضعا من اهتمامك بي، أقدر كثيرا عدم مفارقتك لي، على الرغم من سوء حالتي، أنت مثال للحب والوفاء...

من يريد أن يحب عليه أن يأتي اليك ويتعلم منك، بقيت معي

وتقبلتني في جميع أحوالي، في مرضي، وحتى في أن أكون عاقرا. أحبك، ليت لهذه الكلمة القدرة على وصف قليل مما

أشعر. أريد طلبا منك بعد أن تقرأ هذه الرسالة أن تحرقها وتستعد لحياتك الجديدة الخالية مني، أن تستعد لتعيش حبا جديدا

أتمنى منك ألا تذكرني أمام خطيبتك أو زوجتك في المستقبل فأنا أنثى وأتفهم أي أنثى، اعتني بأطفالك واياك ثم اياك أن تسمي طفلتك باسمي....

وبعد قراءته لرسالتها ساءت أحواله أكثر، أمضى أسبوعا جليس الفراش، شاعرا بالوحدة والفراغ الشديدين، لم يتعايش مع الامر، ولم يزال في حالة صدمة وعدم تصديق، كما ويرافقه شعور بالندم، لأنه خرج من غرفتها، ما جعله دائم التفكير بما كانت لتقوله له ان كان في الغرفة، ولكثرة تفكيره أصبح يحلم بأنها تريد أن تقول له شيئا، ولكن سرعان ما يتوقف الحلم عند هذا الموضع، فأفكارنا تنعكس واقعا في أحلامنا..

من أشد الصدمات التي قد يعايشها انسان هي فقدانه لأشخاص استوطنوا قلبه، وكانوا جزءا من يومه، من المخيف جدا بالنسبة اليه أن يكمل بدونهم، لأنه لم يتصور يوما أن يفقدهم، فظننا قائم أن من نحبهم مخلدون باقيون مع بقائنا.

الا أنني على يقين بأن الوقت قادر على بناء ما هدمه فقدانهم...

لم يذهب جود الى الجامعة بعد أن توفيت جنى، لذا فقد فرصته في التخرج ذلك العام، الا أن ورد في النهاية ذهب الى بيته بعد اتصال والدة جود به، فإنها قلقة كثيرا عليه وعلى مستقبله، فهي تجد نفسها عاجزة عن فعل أي شيء يساعده لذا قصدت

صديقه، اتجه ورد الى غرفة جود بعد استقبالها له، ليلقى أمامه غرفة يعج بها الغبار، عدم التنظيم، الظلام، أكواب كثيرة من القهوة، واضافة الى ذلك ادوية عديدة، منها لتخفيف الصداع ومنها منومة، وأخرى مضادة للاكتئاب، لم يسع عقل ورد ما يرى أمامه..

نزع الغطاء من على جود قائلا له: الى متى ستبقى هكذا؟! أتظن بجلوسك هنا ستستعيد جنى، أم أنك تظن أنها فرحة الآن بسبب تكاسلك عن فعل شيء وفشلك أيضا، فأنت أضعت سنة التخرج خاصتك بجلوسك هنا على هذا السرير، وأنت تستذكر ذكرياتك معها، وتعيد قراءة حروفها، لن تعود، لن تعود، هذه حقيقة لا مهرب منها، اخرج من خيالاتك.

لم يعد يستطيع جود أن يبقى صامتا، فأخرج كل ما يعتصره كل ما يؤلمه، سيطر على صوته نوع من الرجفة مع دموع غزيرة شقت طريقها من عينيه واحدة تلو الأخرى، قائلا له: نعم نعم اعلم ان جنى لن تعود، يكفي لا تذكرني بذلك، لكني أريدها، تفهّمني، لا أستطيع ان امضي وكأنها شيئا لم يكن

كيف سأذهب للجامعة ولا التقي بها كيف سأقضي وقت الاستراحة بين المحاضرات بدون سماع أصوات ضحكاتها العفوية، بل ورؤية ابتسامتها إنني أتكلم لك عن فتاة يصعب عليّ وصفها، ترى أأتحدث لك عن حنانها الذي تعطيه لفتاة لا تقربها بشيء، ومن ثم توقف عن الكلام وصمت لبرهة، ومن ثم صرخ قائلا: نور! كيف نسيتها؟ كيف؟ ما هذا العقل الاحمق؟!

"من نور؟" قال ذلك ورد، وعلامات الاستغراب جلية على وجهه.

جود: نور فتاة كانت تتكفل جنى برعايتها داخل دار أيتام، عليّ الذهاب لرؤيتها بالتأكيد، من يدري بأي حالة هي، أو هل علمت بما حدث؟!

تسللت الى نفس ورد مشاعر فرح، بسبب قرار جود بالخروج فقد أمضى قرابة التسعة أشهر لم يخرج بها من المنزل..

خرج جود من المنزل، في البداية أزعجه نور الشمس الساطع وشعر بشعور سيء، اذ انه لم يختلط بالناس منذ أشهر، ولكن في النهاية شعر بان الهواء النظيف يدخل الى صدره ويخرج منه سالبا قليلا من الحزن القابع بداخله، مما جعله أفضل حالا جال برأسه أمور كثيرة وهو يتجه الى الدار، كيف سيواجه نور؟ كيف سيخبرها؟ كيف عليه أن يتعامل معها؟ كيف سيبدو قويا امامها؟

عندما وصل طلب من يمنى أن تأتي بنور، وعندما رآها هذه المرة هو من تقدم ليعانقها، قد كان بحاجة الى أحد يخص جنى وبعد العناق الطويل الذي جمع كليهما وأفضيا به دموعهما وشوقهما لجنى، يفاجئ جود بقول نور له: العزاء لنا. " ما، ما الذي قلتيه" قال ذلك جود وهو في صدمة، فلم يكن لديه فكرة ان نور تعلم الامر، تساقطت دموع نور وهي تقول له: نعم اعلم لا تندهش قد اخبرتني الانسة يمنى، أنها قد توفت، بعد عنائها بمرض خبيث، بعد ذلك مسحت دموعها بيديها لتردف كلامها:

ولكن الان ليس عليّ ان ابكي، فأمي في السماء، في الجنة، عند الله الذي يحبنا والذي لن تتألم بوجودها لديه ادعو لها دوما واكتب لها الرسائل كل ليلة...

دهش جود لكمية الحكمة التي وجدها في هذه الصغيرة كم كان موقفها مؤثرا، وكأنه ينبع من فتاة راشدة، بقي يتأملها فقط من دون ان يتكلم، لتقاطع صمته قائلة: اتعلم قد وعدتني في المرة الأخيرة التي جاءت بها اليّ انها ستخرجني من الدار، وتأخذني معها عندما تتسلم شهادة التخرج، كما وأنها اخبرتني عنك كثيرا

وهكذا امضيا قرابة الساعتين يستذكران جنى ومواقفها كل منهما لديه الكثير من الكلام الذي يحمله بداخله ويحتاج الى شخص يخبره...

****

بعد مضي قرابة الخمس سنوات، عاد مهند للبلاد بعد ان أصبح من أصحاب الأموال، في بدايته قد تعثر كثيرا ووقعت امامه العديد من المصائب، الا انه استطاع تجاوزها، ليكرمه الله في النهاية بفرصة عمل، جعلت منه الشخص الحالي، ازداد جمالا علته الحكمة والوقار، كما انه لم يقدم على الزواج، فهناك فتاة لا تزال تشغل تفكيره، نعم جوا هي تلك الفتاة، وعاد لأنه يطمح بان يجدها، ذهب الى شركة الهاتف ليسال عن رقم هاتفتها واستطاع الحصول عليه من خلال دفع القليل من المال ولم بتمهل، فسرعان ما اتصل بها..

مهند: مرحبا

جوا ازدادت ضربات قلبها، ين تصديق وعدم تصديق، صوت تكاد توقن أنها تعرفه، أيعقل أن يكون هو!

جوا: اهلا، ولكن من؟

_: الفتى الذي غرست اسنانك بيده

تساقطت من جوا دموع شديدة لشدة اشتياقها، وفرحها لم تتوقع ان يعود بعد يأسها من عودته، ولشدة صدمتها تبعثرت الاحرف، ولم تعد تستطيع تشكيل أي كلمة

مهند: هل من أحد هنا؟

_: نعم انا موجودة، اشتقت لك كثيرا

_: وانا كذلك لنلتقي بعد نصف ساعة في المقهى القريب من جامعتنا

في المقهى

هل سمعتم في السابق عن عناق الأعين!

كانت التجسيد الأمثل لذلك هو عند التقاء جوا ومهند فأعينها لم تكفا عن النظر، وكأنهما ترويان ما حدث بغياب كل منهما عن الاخر..

مهند: أصبحت أجمل مما سبق!

أخفضت بصرها، وعلت وجنتيها الحمرة، ومن ثم قالت له: وانت أيضا ازددت وسامة ورجولة..

تفقد مهند أصابع يديها ليتأكد من كونها عزباء أم لا فلاحظت جوا نظراته فأخبرته: لا لا لم أتزوج، بقيت انتظرك، ولا اعلم سر يقيني بعودتك!

مهند: وانا لم اتزوج، لم أستطع إقامة علاقة مع أي فتاة وكأنك ذهب الى ساحرة وكتبت لي حجابا. عندها تعالت ضحكاتهما فأردف قائلا: كم اشتقت لصوت ضحكتك!

أخبريني عنك ما الذي فعلته طيلة غيابي عنك..

جوا: ليس هناك الكثير، سوى أني تخرجت من الجامعة والان انا مهندسة معمارية لإحدى الشركات

_: رائع وماذا عن جنى وجود هل تزوجا؟

بدت ملامح الحزن جلية على وجهها ومن ثم قالت: جنى قد توفت بالورم بعد رحيلك بخمسة أشهر، وجود لم يتحمل الصدمة مما جعله يتردد الى أطباء نفسيين، ولم يعاود الذهاب الى الجامعة الا بعد مضي عام...

بدا على مهند علامات الدهشة مما تفوهت به جوا ومن ثم قال: أيعقل حصول كل هذا أعانه الله ورحمها، ماذا عن ورد؟

_: أصبح الان من اهم المهندسين، ويمتلك مكتبا خاصا

_: بالطبع سيكون كذلك، فلم اشهد شخصا يحب الدراسة مثله أفكر في أن أجمع بقية أصدقائنا غدا، فإنني متشوق لرؤيتهم

وكما اعتدنا على مهند أنه ينفذ ما يفكر به، فقد حصل على ارقام هواتفهم جميعا، ونظم موعدا في مقهى الجامعة.

اجتمع مهند وجوا وليلاس، الا ان ورد اعتذر عن القدوم لانشغاله بكثير من الاعمال، وجود قد تأخر، مما اثار الشكوك في نفوسهم باحتمالية عدم قدومه، لكن دخوله بعد مضي عشر دقائق عمل على إبادة تلك الشكوك، ولكن بمجيئه بصحبة فتاة صغيرة بعض الشيء اثار حيرة كل منهم، ساد الصمت وارتسمت على وجوههم تعابير الدهشة، ليقترب مهند من الفتاة ويداعب خدها الوردي ويقول: من هذه الفتاة؟ هل ابنتك؟ هل تزوجت؟ منذ متى؟

جود: في البداية نعم هي ابنتي وتدعى نور، وبكنس لم اتزوج

_: وكيف ذلك!

_: أعنى انها تعتبر بمثابة ابنتي التي خرجت من صلبي، الا ان هذا الامر محال بالطبع، فعمرها اثنتا عشرة سنة، أي انني ان كنت والدها الحقيقي لأنجبتها وانا عمري اثنا عشر عاما، في الحقيقة هذه الفتاة تخص جنى لذا فان لها مكانة خاصة

_ جود بعد مقابلته لنور قبل أربع سنوات، وخروجه من الدار، قد اعطى نور وعدا خفيا ولم يجهر به أمامها لئلا يخيب امالها إذا حدث امر معاكس، والوعد كالتالي عندما يحصل على شهادته سياتي لتحقيق وعد جنى لها بان يخرجها من الدار ويتكفل برعايتها، في الحقيقة كانت نور هي الحافز الوحيد الذي جعل جود يعود الى الكلية ويخرج من حالة الياس والحزن التي عايشها، ليوفي في النهاية بوعده لها بعد عام، ويأتي لأخذها..

مهند: هيا انا متشوق لمعرفة اخباركم، ليلاس أخبريني عنك

ليلاس أظهرت يدها اليمنى للجميع، ومن ثم قالت: انا تخرجت منذ عامين، وبعد تخرجي تقدم لخطبتي شاب، وبعد شهرين حفل زفافنا، ولكن لأخبركم من الان لن أستطيع دعوة أحد منكم سوى جوا ونور، لان خطيبي يغار عليّ كثيرا، عندها تعالت ضحكات الجميع..

_ ليلاس تقدم لخطبتها شاب وسيم كريم ذو أخلاق حسنة حاصل على شهادة هندسة المدنية، وبالطبع مثل هذه المواصفات كانت مثالية ولا يمكن رفض من يملكها، وتمت الخطبة، وعايشت ليلاس أجمل لحظات الحب والرومنسية، كما يقول المثل الشعبي (صبرت ونالت) وكما كانت تقول معلمتي لا تبحثوا عن شريككم، فسيئتيكم هو الى منازلكن معززات مكرمات، مدللات، فلا تنقصوا من قيمة أنفسكن..

وقصة ليلاس هي التعبير الفعلي لمقولة المعلمة فالفتاة جوهرة يجب العمل للوصول اليها، ولا يمكن لأي شخص الحصول عليها، وكما ان الجوهرة لا تبحث عن مقتن لها، انما يعجب بها الكثيرون، ومن ثم يأخذها من يستحقها..

فأردفت ليلاس قائلة: وماذا عنك وعن جوا؟!

أخفضت رأسا جوا تعبيرا عن خجلها، في حين فاجأها مهند حين قال: الأسبوع القادم موعد زفافنا

"ماذا، ماذا، أجننت؟" قالت ذلك جوا وهي في حالة دهشة

مهند: نعم الأسبوع القادم، انتظرت طيلة الأيام يكفي بعدك عني لذا الحد يا مشاكستي

تمت

أريد التنويه على أمر في النهاية وهو بما يخص دار الايتام فجميع القصص التي رويتها عنه اقتبستها من قصص فتيات عايشن ذلك فعلا، تمنيت حقا لو كان بإمكاني التواصل مع احداهن، لكن لم يكن ذلك ليفيد لأنني لن أستطيع مساعدتهن بشيء سوى قول بعض التراهات التي لن تفييدهن فهن يردن أفعالا لا كلاما....

كلنا لنا أحلام أنا أنت..
أحلامنا يا عزيزي واقع نعيشه في مخيلتنا
نصنعها كما نريد وبالطريقة التي تعجبنا
دون حواجز تعوقنا، ولا لأحد السلطة فيها
سوانا ، ففي الحياة المفاهيم مغايرة(القدر
و النصيب) ولايسعنا الا التسليم بهذه المفاهيم
لتصبح في النهاية أحلامنا ككتاب مهمل
في أحد رفوف المكتبة، بين الحين والاخر
نذهب لننفض الغبار عنه دون محاولة لفتحه
مجدداً.